رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2428) السنة التاسعة
الاثنين (19) اذار 2012

4

الشبيبي وزيراً

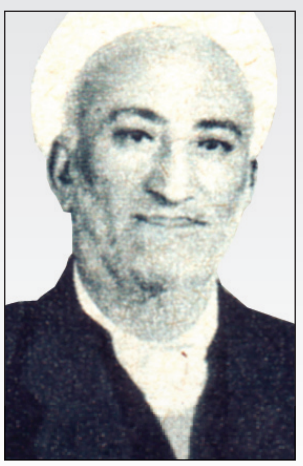

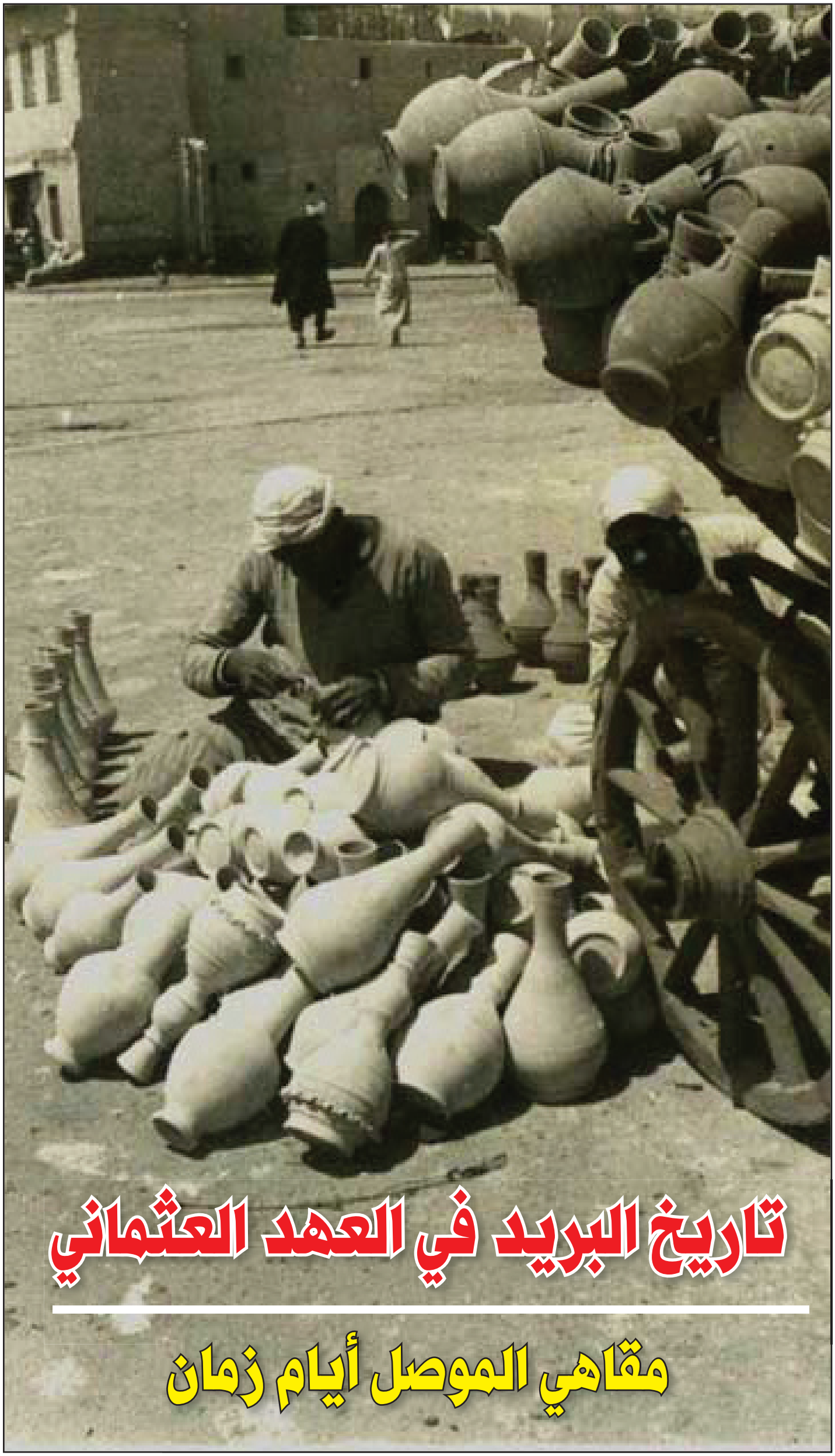

تاريخ البريد في العهد العثماني

مقاهي الموصل أيام زمان

توفيق السويدي

كتاب (وجوه عراقية)

عبد الحميد الرشودي
كاتب ومؤرخ عراقي

وما أملاه في بغداد ولندن

توفيق السويدي

خيري العمري

نور الدين محمود

كان توفيق السويدي احد رؤساء الوزارات العراقية في العهد الملكي قد املى على المؤرخ الاستاذ خيري العمري بعض انطباعاته عن ست وعشرين شخصية عراقية جلهم ممن تولى رئاسة الوزارة مضافا اليهم الملك فيصل الاول ونجله الملك غازي والامير عبد الاله الوصي على العرش وولي العهد وملحقا بهم من غير الرؤساء السادة يوسف السويدي، جعفر ابو التمن، محمد رستم حيدر، وطالب النقيب.

وقد تفضل الصديق الاستاذ خيري العمري فاعارني تلك الامالي، وهي مدونة في دفتر لغرض الاطلاع عليها ثم اتيح باخرة ان اقف على صورة من النسخة المطبوعة في لندن باشراف وتقديم الاستاذ نجدة فتحي صفوة فوجدت بعض الفروق بين النسختين اثرت ان اشير اليها في الفقرات الاتية:

وردت في نسخة العمري ترجمة للفريق نور الدين محمود على حين خلت النسخة المطبوعة من هذه الترجمة فقد علل السويدي سبب ادراجه نور الدين محمود بقوله: "اذا كان مجرى البحث عن وجوه عراقية قد تضمن بالضرورة لذكر جميع رؤساء الوزارات العراقية فقد اصبح من الضروري اكمالا للبحث والترتيب التسلسلي ذكر نور الدين محمود بين تلك الوجوه لانه حاز على رئاسة الوزارة في ظروف معلومة لابصفته احد رجال السياسة بل بصفته احد قواد الجيش الذين عهد اليهم باخماد الثورة ولذلك ليس في وسعي ان اطيل البحث عنه لان تاريخه السياسي لم يحتو على شيء يستحق البحث والتنقيب.

وكذلك وردت في نسخة العمري ترجمة لكمال ابراهيم على حين لم ترد في النسخة المطبوعة وقد علل السويدي ادراجه بانه كان مرشحا لرئاسة الوزارة بعد فشل حركة مايس ١٩٤١ التحررية.

ومن هذا يتضح لنا ان من شروط كتاب السويدي ان يذكر جميع الاشخاص الذين اضطلعوا برئاسة الوزارة وعددهم ثلاثة وعشرون رئيسا فلماذا اذن اهمل رئيسين من اولئك الرؤساء وهما عبد الوهاب مرجان واحمد مختار بابان؟ على حين انه ترجم لاشخاص لم ينالوا الوزارة كوالده يوسف السويدي واخرين لم ينالوا الرئاسة كجعفر ابي التمن ورستم حيدر وطالب النقيب.

في نسخة العمري نجد ان السويدي قد سخر من صالح جبر وذكر خطبته الركيكة باللغة الانكليزية جوابا على خطبة بيفن عند التوقيع على معاهدة بورت سموث سنة ١٩٤٨ وذكر بانها كانت مضحكة اذ كان المقرر ان ينبري الدكتور محمد فاضل الجمالي، عضو الوفد العراقي المفاوض للرد الا ان صالح جبر استاثر بذلك لنفسه. وقد خلت النسخة المطبوعة من هذا النقد الساخر.

وفي نسخة العمري تعريض برشيد عالي الكيلاني وتشكيك في نسبته لال الكيلاني وقد فات السويدي ان السيد عبد الوهاب والد رشيد كان زوجا لاحدى اخوات السيد عبد الرحمن النقيب وحين لم تنجب له مولودا تزوج امرأة غيرها من قرية السادة فاولدها رشيدا.

ويبدوا ان السويدي قد احس بخطئه هذا فعدل عنه وخلت منه النسخة المطبوعة وحسنا فعل.

ولسائل ان يسال ما سبب الاختلاف بين النسختين؟ ولعل سبب الاختلاف كما يلوح لنا ان النسخة الاولى كتبت في العهد الملكي فكانت لهجتها حادة لا تخلو من التشنيع والتجريح اما الثانية التي تم طبع الكتاب عليها فقد كتبها بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في منفاه الاختياري ببيروت فلا عجب ان غير لهجته وخفف من غلوائه فاخذ ينظر الى تلك الشخصيات نظرة فيها شيء من العطف والتبرير لاعمالهم.

وكنا نود مخلصين لو ان الاستاذ صفوة قد نشر نماذج مصورة من المخطوطة لغرض الوقوف عليها ومعرفة ما اذا كانت بخط السويدي او بخط سواه ومتى كان الفراغ منها فذلك ضروري لغرض التوثيق والمقارنة بين النسختين خاصة وان الكتاب طبع بعد وفاة مؤلفه.

اول ما يبده القارئ من الكتاب هو روح الاستعلاء لدى المؤلف والازراء بالاخرين ففي نظره ان الضباط العراقيين الذين كانوا في الجيش العثماني وتطوعوا في الثورة الحجازية انهم من الشبان الذين كانوا يختارون السلك العسكري وجلهم من اولاد الفقراء وليسوا من اهل الحسب والنسب!!

وقد فاته ان اغلب العظماء والنابغين في العالم قد نشأوا في بيئات فقيرة.

فالسويدي لم يستطع التجرد من مشاعر البغض والعداء او عواطف الرضا والولاء فقد تجني على بعضهم ما شاء له التجني وحاول جاهدا غمر قناة قوم لا مغمز فيهم وعلل تحامله على الاخرين "بانه صورة صادقة لما كان يجري على افواه الناس او في المحافل السياسية كما ينبئ عما اشعر به نحو الشخصية المذكورة من تقدير واعجاب او من انتقاد واستهجان، فانت ترى انه اخضع احكامه الصارمة للشائعات ولهوى النفس الذي كثيرا ما يضل صاحبه ويبعده عن سواء السبيل.

هذا وقد وقفنا اثناء قراءة الكتاب على بعض الاخطاء والاوهام رأينا الواجب يقتضيه ان ننبه عليها حرصا على سلامة تاريخنا المعاصر الذي ينبغي ان يكتب بصورة صحيحة خالية من الشطط والغلط.

جاء في ص٢١ قوله: "ومع ان ثورة تموز ١٩٢٠" الصواب ثورة حزيران وجاء في ص ٢١ قوله: "كان قد اقترب يوم ٢١ آب سنة ١٩٢٢ وهو اليوم الذي يعتبر يوم جلوس الملك" الصواب ٢٣ / آب ١٩٢١ وجاء في معرض حديثه عن الملك فيصل الاول ص ٢٥ قوله: "انه عندما توفي له اربعة وخمسون عاماً". اقول ان ولادة فيصل كانت في ٢٠ ايار ١٨٨٥ في الطائف – كما جاء في كتاب فيصل بن الحسين لرفائيل بطي وعند المكثرين سنة ١٨٨٣ م ووفاته في ٨ ايلول ١٩٣٣ فبأي التاريخين اخذنا فهو لم يبلغ الخمسين عاما وجاء في حديثه عن عبد الرحمن النقيب ص ٣٨ قوله: "وفي وزارته جرت انتخابات المجلس التأسيس فاجتمع وعقدت معاهدة ١٩٢٤ الثقيلة الظل واقرها المجلس المذكور وفي زمانه وضع القانون الاساسي موضع التنفيذ بعد ان صادق عليه المجلس التأسيسي"

ويستدرك على هذا النص بما يلي:

أ- ان وزارة عبد الرحمن النقيب الثالثة لم تستطع اجراء انتخابات المجلس التأسيسي وذلك بسبب المقاطعة الشاملة التي تزعمها العلماء والمجتهدون الذين افتوا بحرمة الانتخابات.

ب- ان انتخابات المجلس التأسيسي في عهد الوزارة السعدونية الاولى قد توقفت عند انتخاب المنتخبين الثانويين فقط.

جـ- عندما خلفت وزارة جعفر العسكري الاولى وزارة السعدون المستقبلة جعلت في منهاجها "اكمال الانتخابات للمجلس التأسيسي وجمعه في اسرع ما يمكن، وفي عهدها تم تصديق المعاهدة كما جاء ذلك تفصيلا في كتاب تاريخ الوزارات الافريقية – الجزء الاول للمؤرخ السيد عبد الرزاق الحسني وكذلك تم في عهد وزارة العسكري الاولى التصديق على القانون الاساسي من قبل المجلس التأسيسي في ٢٠/ تموز/ ١٩٢٤ الا انه لم ينشر ويوضع موضع التنفيذ الا في عهد وزارة ياسين الهاشمي الاولى حين قرر مجلس الوزراء نشره في ٢١/اذار/ ١٩٢٥.

وجاء في حديثه عن نوري السعيد ص٨٣ قوله: "واذا صح هذا القول فيجب ان يكون من اصل عربي وبالتحقيق من اصل تركي" وقد وقع خطأ مطبعي في هذه العبارة وصوابها: "من اصل غير عربي وبالتدقيق من اصل تركي".

وجاء في حديثه عن جميل المدفعجي ص٩٥ قوله: "اما والدة جميل فهي عربية من عشيرة (البوفرج) والصواب (البو مفرج) ما جاء في الصفحة نفسها قوله: "وعاد جميل في سنة ١٩٢٥ وعين متصرفا للواء المنتفك، قلت انه

عاد الى العراق سنة ١٩٢٣ بعد صدور العفو العام.
وجاء في حديثه عن جعفر ابو التمن ص ١١٣ قوله: "اسمه محمد جعفر واسم ابيه الحاج داود".
اقول ان اسم والد جعفر هو محمد حسن اما الحاج داود فهو جده ومن غرائب الاتفاق ان المشرف على نشر هذا الكتاب نجدة فتحي صفوة قد اخطأ في اسم جعفر ابي التمن في الكتاب الذي ترجمه بعنوان "العراق في الوثائق البريطانية فقد جاء في ص٦٤ اسم ابي التمن بهذه الصورة "جعفر جلبي حافظ الحاج داود ابو التمن" والصواب (حفيد) فترجمها (حافظ) وكان جعفر اعتزازا منه بجده يوقع "جعفر حفيد الحاج داود" فظن ان اصل (حفيد) العربي (حافظ) وهذا من افات الترجمة.
وجاء في ترجمة حمدي الباجه جي ص١١٢ ان السعدون في وزارته الثالثة اختار حمدي الباجه جي وزيرا للاوقاف وهذا وهم صوابه في وزارة السعدون الثانية لان وزير الاوقاف في الوزارة السعدونية الثالثة كان احمد الشيخ داود.
وجاء في حديثه عن ارشد العمري ص١٢٧ انه الولد الرابع من اولاد محسن الخمسة قلت الصواب حسن زبور.
وفي حديثه عن صالح جبر ص١٤١ قال وبعد مدة قضاها كحاكم اختير وزيرا للمعارف في وزارة ناجي شوكة بترشيح من الملك فيصل الاول الذي اراد ان يتحدى رجال السياسة القدماء فانتقى لها وزارة كان منهم صالح جبر ويستدرك على ذلك من وجوه.
لـ ان صالح جبر كان قد انتخب نائبا في المجلس النيابي عن لواء المنتفق (محافظة ذي قار) في الدورة الثالثة التي بدأت اول اجتماع لها في ١ تشرين ١٩٣٠ فاستقال من الحاكمية .
ب- انه اختير وزيرا للمعارف في وزارة جميل المدفعي الاولى التي تالفت في ٩ تشرين الثاني ١٩٣٣ وكان يومئذ نائبا في المجلس النيابي (الدورة الرابعة).
جـ- ان استيزاره كان في عهد الملك غازي الاول لا الملك فيصل الاول.
هـ- وفي حديثه عن الملك غازي ذكر انه ولد سنة ١٩١٣ ميلادية ولعل هذا من اوهام الطبع فالصحيح المجمع عليه انه ولد سنة ١٩١٢ كما جاء في الصفحة نفسها ان الامير غازي بقي في مكة لدى جده الى سنة ١٩٢٦ والصواب سنة ١٩٢٤ وهي السنة التي وصل فيها بغداد وكان وصوله اليها في الخامس من تشرين الاول
وجاء في حديثه عن السيد طالب النقيب ص١٦٣ قوله: "غير انه ابتلى بمرض عضال اضطره الى السفر الى المانيا للعلاج فوافاه اجل وهو في ميونيخ ونقل جثمانه الى العراق ودفن في البصرة سنة ١٩٢٤ وهذا وهم صوابه ١٦ / حزيران ١٩٢٩".

وجوه عراقية.. الذي صدر في لندن

قراءة في اوراق الذاكرة

البروفيسور فيليب حتي في بغداد

جميل الجبوري

يوم وفد الى العراق في اوائل الستينات المؤرخ الكبير الدكتور (فيليب حتي) وجدتها فرصة سانحة لاقدمه الى مشاهدي التلفزيون في برنامجي (وجها لوجه).
وعندما زرته في الفندق الذي حل فيه وعرضت عليه الفكرة كاد ان يعتذر وقال انه بطبعه لايميل الى وسائل الاعلام ولا ينجذب اليها.. فشعرت انني كمن خسر فرصته او كاد... واحسبه قرأ مشاعري فلقد استبقاني لنشرب القهوة سوية ولنتحدث في شؤون الثقافة في العراق، وبقيت واغتنمتها مناسبة لاستفيض في الحديث معه ولاركز على ما حفظته عنه من اراء ومنطلقات وافكار تاريخية قرأتها في كتبه الغنية الدسمة. ولكم سر لما سمع مني وقرت عينه، فلقد قال لي:
"حمدا لله اذ اجد من يتابعني ويردد افكاري ويهتم بكتبي.. واصدقك القول اني كنت مرة ازور قريتي (شملان) في لبنان وشاهدت في سوقها بائع صحف يعرض بعض كتبي بالانكليزية، فغمرني سرور عظيم لان شملانتعرض كتبي كما تعرضها (نيويورك).. واحسب ان ذلك من حسن حظ المؤلف.
ومرة قالت لي معلمتي التي درستني اللغة الانكليزية والفرنسية في (سوق الغرب)، يا فيليب انا فخورة باجتهادك، ومنذ ذلك اليوم اعتبر نفسي وقد نلت (جائزة نوبل) من شفتيها.
وعلى ذلك – يا سيدي – انا موافق على الظهور معك في التلفزيون، اكراما لخاطرك. فشكرته بدوري وامتلكني الفرح لاني كسبت جولتي معه بعد ان كدت اخسرها واتفقت معه على الموعد، وودعته ممتنا.

وعندما حان الموعد قدمتنا المذيعة الجميلة على الهواء مباشرة وجدته يحدق فيها حتى توارت عن نظره.. كما لاحظت انه لم يتاهب للحوار بعد ان انتهيت من الحديث عنه، وعن كتبه، وعن مركزه العلمي ومكانته بين المؤرخين المعاصرين، لذلك قلت له.
والان يا استاذنا الكبير، ماذا تود ان نسالك؟ فقال: انك على خلاف غيرك من مقدمي البرامج الثقافية الذين عرفتهم في دول اخرى عديدة.. لم تتفق معي على اسئلة معينة، ولا على موضوع بذاته.. فهل تريد احراجي؟.. وضحك..
قلت، لا ، بل اريد ان اهيء لك حرية الكلام في الموضوع الذي تفضله، فشكرني وقال، الحق ان الموضوع الذي اود ان اتحدث فيه هو نشأتي الفقيرة التي اعتز بها كل الاعتزاز.
فحتى اليوم اتذكر طفولتي وكيف تعلمت العربية والسريانية على يد راهب كان يجلس طلابه على الحجر تحت السنديانة الكبيرة امام كنيسة القرية.. وكان لعود الرمان بين يديه القول الفصل.. وكنت اشتغل في تلك السنة المبكرة كما كان يشتغل كل التلامذة.. اشتغلت في (حل) الخرير وفي التجارة، ويوم سقطت من على الحمار وكسرت يدي وطال امر شفائي قررت عائلتي الفقيرة انني "عطيلة" لا اصلح للعمل لذلك ارسلوني الى المدرسة في (سوق الغرب) حيث بقيت فيها خمس سنوات اتقنت خلالها الانكليزية والفرنسية.
هنا وجد مدير المدرسة ان مستقبلي في اكمال دراستي في المعاهد العليا، واقترح ان اقصد (الكلية السورية الانجيلية) – الجامعة الامريكية في بيروت اليوم – ولكن من اين؟.. والد قصيدة.. قال الرجل : انا استطيع ان اساعدك، على ان تساعد نفسك..قلت: كيف؟.. تعال ساعدني سنة واحدة في التعليم في (ديرقوبل)، اسس مدرسة هناك وساعطيك (ليرة فرنساوية) واحدة في الشهر، حاول ان تجمعها لانك تستطيع ان تدرس في الجامعة، وتاكل منها وتنام بخمس ليرات فرنساوية ف السنة بتوصية مني.
وهكذا كان، فلقد تحملت المسؤولية وانا ابن (١٤) سنة. وكنت اقطع الدرب من قريتي الى هناك ماشيا على قدمي في يومي الاثنين والسبت من كل اسبوع عند الذهاب الى المدير والعودة الى اهلي في عطلة الاسبوع. وكان حلمي العظيم هو الكلية في بيروت، لذلك اجتمع (مجلس العائلة) وجمع ماليديه..
وكان مع اخي، ليرة وفرها من عمله، وان لدى الوالدة ليرة اخرى ادخرتها لطوارئ الزمان". واعطاني ابي ليرتين، وهكذا تجمعت لدي اربع ليران.. فذهبت الى المدير وقلت له ان هذا ما معي واني اريد ان اتعلم، فابتسم الرجل ومد يده في جيبه واخرج ليرة فرنساوية اضافها الى ماجمعته وقال: لا، ان معنا الان خمس ليران، فتوكل على الله.. وتوصيني من اجل قبولك مهياة.
وهكذا، دخلت الجامعة، ودرست ودرست.. حتى حققت المرتبة الثانية في صفي، ولذلك قرر (الامريكان) شمولي بالمنحة الدراسية.. ثم جاءت المنحة بعد المنحة، وانا في المرتبة الاولى في كل امتحان حتى انهيت المرحلة التعليمية الاولى التي مكنتني من ان اشتغل في التعليم بـ (سوق الغرب) لكي اساعد اخوتي الصغار على التعليم.. وبعد ثلاث سنوات عدت الى الجامعة لانال منها شهادة الـ (ب.ع) عام ١٩٠٨، ولاكون مدرسا فيها – ايضا – حتى عام ١٩١٣.. ولكن حلمي العريض ظل هو مواصلة الدراسة حتى اعلى مراحلها ولقد وفقني الله – سبحانه – لاكثر لاكثر مما كنت احلم به.. والحديث عن تفاصيل ما تحقق لي طويل.. طويل..
وهنا اشار مساعد مخرج البرنامج ان ازف الوقت، وان آن اوان انهاء اللقاء.. فشكرته، واسفت لضيق الوقت الذي لم يتسع لما تبقى من هذا الحديث الجميل..
وجاءت المذيعة لتختم الحلقة، ووجدته يحدق فيها، مجددا، ويتابعها حتى توارت عنا وحجبت الاضواء.
فسألته، ماذا يا استاذنا الكبير، قال : "عفوا.. هي جميلة فعلا.. ولكن لا تأخذك (غيرة عراقية) عليها.. فلست ذلك الرجل الذي تظن انه مجرد الاعجاب بالجمال.. وضحك وضحكت، وصحبته الى الفندق حيث كان يقيم في محاولة مني لاستماع ما تبقى من حديث تلك الذكريات.

الشبيبي وزيراً

د. علي عبد شناوة
باحث ومؤرخ

ان الوزن الكبير الذي كان يتمتع به الشيخ محمد رضا الشبيبي اهله لأن يتبوأ منصب الوزارة في وقت مبكر من عمر النظام الملكي، وتحديدا قبل منح العراق الاستقلال بسنوات. فلقد استوزر للمرة الاولى في الثاني من آب سنة 1924 حين عهد اليه ياسين الهاشمي الذي كان على علاقة وثيقة به، حقيبة المعارف في اول وزارة يؤلفها الاخير في حياته السياسية. امضى الشبيبي مدة سبعة اشهر ويومين فقط في ذلك المنصب، فقد قدم استقالة من الوزارة في الخامس من آذار من العام التالي احتجاجا على التوقيع على اول اتفاقية للنفط مع (شركة النفط التركية) اذ رأى فيها اجحافا كبيرا بحقوق العراق المشروعة.

اضيف ذلك الى الرصيد الوطني للشبيبي، فزاد من شعبيته، كما زاد في الوقت ذاته، من حقد البريطانيين، وتحفظ اعوانهم تجاهه، فلم يدع مرة اخرى، وعلى مدة عقد كامل من الزمن، للاشتراك في أي من الوزارات الخمس عشرة الي الفت خلال تلك الحقبة على الرغم من النجاح المشهود الذي حققه في غضون المدة القصيرة اثناء استيزاره الاول.

تغيرت الصورة هذه نسبيا في عهد الاستقلال، فقد استوزر الشبيبي خلاله اربع مرات، زامنت اثنتان منها عهد الملك غازي الذي كان يكن له احتراما خاصا. سجل اللواء المتقاعد فؤاد عارف، مرافق الملك غازي، في مذكراته بهذا الصدد ما نصه:

((كانت للشيخ محمد رضا الشبيبي مكانة ساحقة لدى الملك غازي يثق به ويحترمه جدا)).

دخل الشبيبي الوزارة للمرة الاولى في عهد الاستقلال ضمن تشكيلة وزارة ياسين الهاشمي الثانية التي الفت في السابع عشر من اذار سنة ١٩٣٥، وقد تقلد ايضا منصب وزير المعارف، كما كان عليه الامر بالنسبة للوزارات الاخرى جميعها التي تقدها الشبيبي سواء في عهد الانتداب، ام في عهد الاستقلال. استقال الشبيبي من منصبه في هذه الوزارة، لاسباب نعود الى تفصيلاتها لاحقا، في الخامس عشر من ايلول العام نفسه، بمعنى انه احتفظ بحقيبة الوزارة للمرة الثانية مدة خمسة اشهر وثمانية وعشرين يوما، مع العلم ان الوزارة نفسها بقيت في الحكم لغاية التاسع والعشرين من تشرين الاول عام ١٩٣٦.

اما في المرة التالية فقد دخل الشبيبي في الوزارة التي الفها السياسي المخضرم جميل المدفعي في السابع عشر من آب ١٩٣٧، وكانت هي الرابعة في حياة المدفعي السياسية، والاولى التي يجتمع فيها الشبيبي معه، واحتفظ فيها بمنصبه الى حين سقوطها في الخامس والعشرين من كانون الاول سنة ١٩٣٨، بمعنى انه بقي وزيرا للمرة الثالثة مدة سنة واحدة واربعة اشهر وثمانية ايام.

اشترك الشبيبي مرة اخرى مع جميل المدفعي في وزارة الاخير الخامسة التي الفت في الثاني من حزيران سنة ١٩٤١، وبقيت في الحكم حتى السابع من تشرين الاول من العام ذاته، لتبلغ مدة وزارة الشبيبي هذه المرة اربعة اشهر واربعة ايام.

دخل محمد رضا الشبيبي للمرة الرابعة والاخيرة الوزارة في عهد الاستقلال في التاسع والعشرين من كانون الثاني سنة ١٩٤٨ في اول واخر وزارة الفها محمد الصدر، والتي بقيت في الحكم حتى الثالث والعشرين من حزيران العام نفسه، بمعنى ان المدة التي قضاها الشبيبي في اخير وزارة تقلدها في عمره السياسي استغرقت اربعة اشهر وثلاثة وعشرين يوما.

ما سبق يعني ان الشبيبي دخل الوزارة في عهد الاستقلال اربع مرات، بلغ مجموع ما قضاه الى الوزارة سنتين وسبعة اشهر ويومين، وزامنت اطول مدة قضاها في الوزارة مع عهد الوزارة المدفعية الرابعة، واذا اضفنا الى هذا الرقم المدة التي قضاها في الوزارة الوحيدة الى دخلها في عهد الانتداب، وهي سبعة اشهر ويومان، حينذاك يكون مجموع المدة التي قضاها الشبيبي في السلطة التنفيذية طيلة العهد الملكي زهاء ثلاث سنوات وشهرين واربعة ايام، وهي مدة متوسطة قياسا بعمر كل وزير من الوزراء الذين تولوا الحكم في ذلك العهد.

يستحق تقويم وجود الشبيبي في وزارة العهد الملكي وقفة خاصة، فقيل كل شيء انه اشغل حقيبة المعارف في الوزارات جميعها التي اشترك فيها، فهو رجل علم، لم يرض بحقيبة اخرى، كما لم يجد رؤساء الوزارات التي اشترك معهم في الحكم شخصا اجدر منه بالحقيبة تلك. ثم ان الوزارات التي اشترك فيها الشبيبي كانت في معظمها وزارات تؤلف اساسا من اجل حل ازمات مستعصية تمر بها البلاد لسبب، او لأخر، بما في ذلك الوزارة الوحيدة التي اشترك فيها في عهد الانتداب، فقد زامن وجودها الازمة السياسية المتفاقمة التي نجمت عن ابرام اول معاهدة بين العراق وبريطانيا، ومع التخطيط الذكي للملك فيصل الاول لابرام اول اتفاقية على يد وزارة تضم وجوها وطنية عارضت المعاهدة، والشبيبي كان احدهم، واخيرا مع ادق مرحلة كانت تمر بها مشكلة الموصل المصيرية.

يصف لنا الحسني الظروف التي تم فيها تاليف الوزارة الهاشمية الثانية في السابع عشر من اذار ١٩٣٥، وهي اول وزارة يشترك فيها الشبيبي في عهد الاستقلال وصفا دقيقا، اذ يقول عنها:

((ولما تسلمت الوزارة الهاشمية الثانية مقاليد الحكم، كانت البلاد تغلي غليان المرجل، فقد تعطلت التجارة، وفقدت الثقة واصيبت المرافق العامة باضرار جمة، وكشر الضعف على مؤسسات الدولة عن انيابه)).

نشرت الوزارة في الخامس من تموز ١٩٣٥ منهاجها الذي جاء طموحا بالنسبة لشؤون التعليم، يبدو ان الشبيبي نفسه صاغ هذا الجزء منه، مما يبدو واضحا من اسلوبه، او في اقل تقدير، وضع خطوطه الاساسية التي نصت على:

((السير بالمعاروف على اساس تهذيب النشء ليكون مواطنا مشبعا بروح التضحية في سبيل الواجب، محبا للتقدم والنظام، قديرا على الاضطلاع باعباء الحياة، وعلى تكثير البعثات العلمية لتأمين حاجة العراق من الاخصائيين والمدرسيين والاهتمام بالتعليم القروي، وتحسين التدريب الصناعي، والعناية بالتدريس الابتدائي، والمبادرة الى تأسيس مدرسة ثانوية ليلية، واعادة فتح مدرستي الهندسة والزراعة، واستقدام الاساتذة لكليتي الطب والحقوق، وتوسيع نطاق الكلية الاخيرة على وجه يؤمن اعداد موظفين قديرين في الشؤون المالية والادارية ايضا)).

لم يتحقق من هذه الخطة الطموح حتى النزر اليسير لعدة لأسباب عدة، الاول، لا الاهم منه، هو قصر المدة التي قضاها الشبيبي في منصبه، اما السببان المهمان الاخران فانهما يكمنان في حقيقة عدم توفر الامكانات المادية الضرورية لتنفيذ جميع مفردات الخطة تلك، والثاني منهما يرتبط بالاضطرابات المزمنة التي رافقت عهد الوزارة الهاشمية الثانية ، فهي لم تعش يوم راحة واحداً، انتقض الجميع بوجهها من اقصى الشمال الى اقصى الجنوب بدوافع شتى، الى ان انتهى وجودها في اول انقلاب عسكري في تاريخ العراق السياسي.

لا تختلف الأمور بالنسبة للوزارات الاخرى التي اشترك فيها الشبيبي في عهد الاستقلال، فان الوزارة المدفعية الرابعة

الفت اصلا لاحتواء اثار انقلاب ١٩٣٦، واعادة الامور الى مجاريها الطبيعية قدر المستطاع. ينطبق القول نفسه تماما على الوزارة المدفعية الخامسة التي الفت لاحتواء اثار انتفاضة مايس ١٩٤١. ووزارة محمد الصدر الفت في اثر وثبة العامة ١٩٤٨، وكان للشبيبي دوره في اقناع الصدر بقبول تأليف الوزارة في تلك المرحلة الحرجة. ولا تختلف مناهج هذه الوزارات بخصوص التعليم بعضها عن بعض في شيء، وما حققته اي منها في ميدان التعليم يبقى كما متواضعا على وفق المقاييس جميعها. ومن دون الحاجة الى الخوض في التفصيلات نتوقف فقط عند بعض الارقام لخط التعليم في بعض السنوات التي كان الشبيبي فيها وزيرا للمعارف، من غيرها متقاربة منها من اجل المقاربة التي تبين حركة في غاية البطء في الاحوال كلها، وحتى تراجعا في بعض الحالات. فلقد بلغ عدد مدرسي المدارس المتوسطة والاعدادية الرسمية في عموم العراق في العام ١٩٣٩ مثلا ٤٨٥، وفي العام ١٩٤٠ انخفض العدد الى ٤٧٣، ثم انخفض الى ٤٣٥ في العام ١٩٤١ ليرتفع الى ٤٧١ و ٤٩٠ و٥٣٩ تباعا في الاعوام ١٩٤٢، ١٩٤٣و ١٩٤٤. اما عدد المعلمين في المدارس الابتدائية الرسمية في عموم العراق فقد بلغ الاعوام ١٩٤٠ و ١٩٤١ و ١٩٤٢ و ١٩٤٣ كالاتي: ٣٥٢٥ و ٣٧٥٢ و ٣٩٧٩ و ٤٣٤٠ معلما. فيما بلغ عدد تلاميذ المدارس الابتدائية الرسمية في عموم العراق في السنة ١٩٤١ – ١٩٤٢ زهاء ٨٧٤٤٥ وارتفع الرقم في العام التالي الى ٨٧٥٣٣ ثم وصل في العام ١٩٤٩ الى ١٦٩٨٦٨ تلميذا، والى ١٨٠٧٧٩ في العام التالي.

كان الشبيبي رجل مبدأ، وموقف في جميع الوزارات التي قدر له الاشتراك فيها. ففي الخامس عشر من ايلول سنة ١٩٣٥ استقال من وزارة الهاشمي الثانية بسبب ما اعتقده عدم تعضيد من مجلس الوزراء لطروحاته، ونتيجة لتأليف لجنة خاصة للبت في مشكلات وزارة المعارف في اثر استقالة مير المعارف العام فهمي المدرس لتعارض ارائه مع اراء الوزير بخصوص قضايا التعليم. وقبل تقويم الموضوع سجل هنا نص كتاب الاستقالة التي قدمها الشبيبي لان من شأنه القاء بعض الضوء على الموضوع اولا، وعلى اسلوب تعامل الشبيبي ثانيا. يقول نص كتاب الاستقالة:

((صاحب الفخامة رئيس الوزراء الموقر. ارجو قبول استقالتي من عضوية مجلس الوزراء الموقر، وذلك لاني – حسب ما اعتقد – لم اعضد بكثير من الاراء والمقترحات التي سبق لي ان اقترحتها بشؤون المعارف، ولا سيما عندما خاض المجلس في قضايا موظفي هذه الوزارة اخيرا، وارتئي في هذا الشأن اراء تختلف عما ارتأيته من اكثر الوجوه، ولا ارى من الجائز ان يطول الاخذ والرد في قضايا المعارف العامة، وقضايا الموظفين فيها، خاصة ونحن حعلى ابواب السنة الدراسية.

ولابد لي من القول بانني فاديت بكثير من ارائي الخاصة حبا بدوام الالفة، ورغبة في تنظيم جهودنا المشتركة في خدمة البلاد في هذه الظروف العصيبة. ولا استطيع ان افعل اكثر ما فعلت، هذا وارجوا ان تقبلوا، يا صاحب الفخامة، فائق الاعتبار والاحترام، مقرونا بالدعوة الصالحة، لكم ولزملائكم بالنجاح والتوفيق.

١٤ جمادي الثاني ١٣٥٤ هـ ١٥ ايلول ١٩٣٥م. وزير المعارف: محمد رضا الشبيبي.)).

جميل المدفعي

في الواقع لم تواكب جميع طورحات الشبيبي روح العصر، ولهذا السبب تحديدا اختلف معه شخص مثل فهمي المدرس وغيره من مسؤولي وزارة المعارف، ولهذا البب ايضا نعته تقرير السفارة البريطانية عن الشخصيات العراقية في العام ١٩٣٦ بالرجعية. مع ذلك لا نرى في ذلك الاختلاف السبب الوحيد لاستقالة الشبيبي من منصبه فانه، فضلا على ذلك، لم يكن مرتاحا من مواقف الوزارة من عشائر الفرات الاوسط، ومن احداث اخرى وقعت في عهدها، ولم يكن اشتراك الشبيبي في وزارة ياسين الهاشمي امرا مرغوبا فيه، اصلا، من الاوساط التي شنت حربا شعواء عليها.

حاول ياسين الهاشمي اقناع الشبيبي على التراجع عن استقالته، فزاره خصيصا في داره، وعرض عليه حقيبة العدلية في حالة عدم رغبته في العودة الى وزارة المعارف، لكن جهوده ذهبت سدى، اذ ذاك بعث له برسالة رقيقة للغاية، لا نظير لها في تاريخ الوزارات العراقية، تحمل في طياتها ما كان يحظى به الشبيبي من احترام لدى الجميع، يقول فيها:

((مولاي الاستاذ محمد رضا الشبيبي المحترم، يؤسفني ان تذهب محاولاتي العديدة للتوفيق بين الاراء من دون نتيجة، ويؤلمني جدا ان ارى استمرار التأزر معكم في تحمل اعباء الظروف الحاضرة قد اصبح متعسرا بالنظر لقراركم الاخير. انني اشعر بالمتاعب التي تحملتموها اثناء اضطلاعكم بمسؤولية الوزارة، واذا ما تقدمت اليكم بالاعراب عن الشكر والتقدير، فانني بلاشك اعبر، في الوقت نفسه، عما يحمله زملاؤكم الوزراء الباقون من شعور الامتنان على مالا قوه منكم مدة اشتراككم معهم من التأييد. وكل ما ارجوه ان تكون رابطة الاخوة والمبدأ التي ربطتنا في جهادنا باقية على رواقها، والتمس ان تقبلوا احترامي واجلالي. المخلص ياسين الهاشمي)).

قدم الشبيبي استقالته من وزارة محمد الصدر ايضا، مع العلم انجازتها لم تكن قليلة قياسا بغيرها، لكنه اختلف معها بصدد الانتخابات النيابية. فقد استصدرت الوزارة ارادة ملكية بتاريخ الثاني والعشرين من شباط ١٩٤٨ تقضي بحل مجلس النواب القائم استجابة لشعار القوى الوطنية المطروح على الساحة، ووعدت باجراء انتخابات حرة. لكن الوزارة التي كانت في الاصل

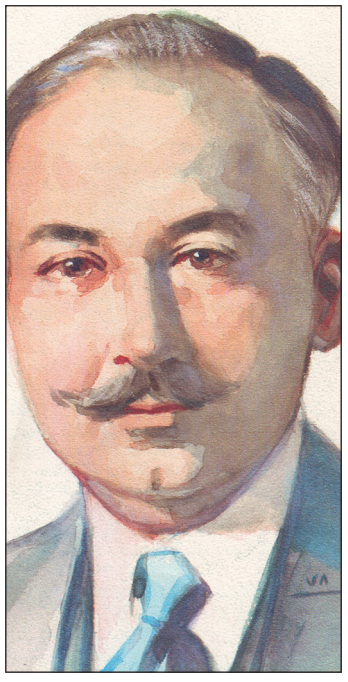
فهمي المدرس

انتقالية قلقة، لم تستطع ان تبر بوعدها، فقد تمت الانتخابات الجديدة في الخامس عشر من حزيران سنة ١٩٤٨ وسط جو مشحون بالتدخل السافر في العديد من المناطق الانتخابية، رافقته حوادث دموية غير قليلة، مما دفع عددا من الوزراء الى تقديم استقالاتهم من مناصبهم الوزارية، كان الشبيبي احدهم.

يكتنف موضوع استقالة الوزراء بعض الغموض، ووردت اول اشارة الى استقالة الوزراء في صحيفة (الشعب) بتاريخ الثامن والعشرين من ايار ١٩٤٨ اذ اعلنت ((ان وزير الشؤون الاجتماعية (داود الحيدري) قد قدم استقالته، وانه مصر عليها، وان وزراء الخارجية (حمدي الباجة جي)، والمعارف (محمد رضا الشبيبي)، والتموين (محمد مهدي كبة) يفكرون هم ايضا بالاستقالة، او انهم قدموها فعلا)).

اما مؤرخ الوزارات العراقية فقد ابقى الموضوع معلقا، اذ نشر نص استقالة وزير التموين رئيس (حزب الاستقلال) محمد مهدي كبة الذي قدمها في السابع من حزيران، ويشير الى ان استقالته قبلت، وصدرت ارادة ملكية تقضي باسناد منصب وزارة التموين بالوكالة الى وزير المالية صادق البصام من دون ان ينشر نص الارادة على غير عادته. اما بخصوص استقالة داود الحيدري فانه يقول (وقد ظفرنا بنص استقالة وزير الشؤون الاجتماعية)، ثم ينشر نص الاستقالة التي تحمل تاريخ السادس والعشرين من ايار ١٩٤٨ من دون ان يشير الى قبولها، ولا الى اية ارادة ملكية تخص ذلك، او تقضي بتعيين بديل عنه وكالة، او اصالة، وذلك ايضا على غير عادته ، فيما لم يشر بالنسبة لاستقالة الشبيبي سوى الى ما ورد عنها ضمنا في صحيفة (الشعب).

عثرنا على استقالة الشبيبي، من وزارة محمد الصدر، ضمن اوراقه الخاصة المحفوظة لدى (المجمع العلمي العراقي) وهي بخط يده، وتحمل تاريخ التاسع من حزيران سنة ١٩٤٨، هذا نصها:

(صاحب الفخامة السيد محمد الصدر رئيس الوزراء المحترم، بعد التحية. يؤلمني جدا ان احيط فخامتكم علما بانه بات من المتعذر استمراري على تحمل المسؤولية بعد المناقشات التي جرت اخيرا في مجلس الوزراء في صدد الانتخابات النيابية التي لازمها الغموض من مبتداها الى منتهاها، فوجهت اليها المطاعن، وكثرت الاقاويل كما اجهضت

ياسين الهاشمي

جميع المساعي المبذولة من اجل اتباع سياسة صريحة تلائم الظروف الراهنة، وتنطبق على مقتضيات المصلحة العامة في اجراء الانتخابات. ولم يبق عندي ادنى شك في ان هناك تدخلا فعليا في شؤون انتخابات طبق خطة مدبرة، من جملة اغراضها مقاومة المجاهدين المناضلين في سبيل كرامة البلاد واستقلالها، ومن بين اهدافها مكافحة فريق من زملائنا اعضاء الجبهة الدستورية ومعاضديهم، ولا سبب لذلك الا جراتهم ومواقفهم الوطنية المشرفة، والانكى من ذلك ان تقضي تلك الخطة المدبرة بتشجيع الاغبياء الجاهلين على منازلة ابناء البلاد المخلصين في الميدان، كان الوزارة المسؤولة اصبحت اداة، او مطرقة للرجوع بالبلاد القهقري، واعادة ما كان الى ما كان من بواعث السخط والالم واليأس في نفوس ابناء العراق.

ويؤسفني ان تذهب كل جهودي عبثا في احباط هذه الخطة المدبرة التي جرت بموجبها الانتخابات النيابية وان يتعذر علي الاستمرار في تحمل تبعة هذه الانتخابات، لذلك اجدني مضطرا الى تقديم استقالتي من عضوية مجلس الوزراء راجيا اجراء ما يلزم لقبولها، هذا ولا يسعني في النهاية الا ان اشكر فخامتكم ولبقية الوزراء ما لقيته من عطف وتأييد في ما يتعلق بالمقترحات الخاصة بوزارة المعارف راجيا لفخامتكم وللجميع مزيد التوفيق . ٣ شعبان ١٣٦٦ – ١٩ حزيران ١٩٤٨. محمد رضا الشبيبي وزير المعارف)).

لم نعثر على اي دليل تاريخي قاطع يبين موقف رئيس الوزراء، او البلاط من استقالة الشبيبي، وقد يكون ذلك مرتبطا بحالة التخطيط التي كانت الوزارة تعيشها، ولاسيما بسبب الاحداث المتفاقمة التي رافقت الانتخابات، ولان الوزارة نفسها عموما كانت مقبلة على الاستقالة، فان بقاءها في الحكم كان مرهونا فقط بانجاز الانتخابات، فلقد قدمت استقالتها فعلا الى الوصي الامير عبد الاله بتاريخ السادس عشر من حزيران ١٩٤٨، وقبلت في الثالث والعشرين منه، اي بعد افتتاح المجلس الجديد بيومين فقط. ولكن الغريب في الامر هو ان الصحف لم تنشر نص استقالة الشبيبي، مع العلم ان (الزمان) كانت تولي كل ما يتعلق بالشبيبي اهتماما كبيرا للغاية، ثم ان الشبيبي نفسه كان مهتما باطلاع الرأي العام على جميع مواقفه وارائه.

صادق البصام

واخيرا يؤخذ على الشبيبي في كل الاحوال، ان يتاخر عن زملائه الاخرين في تقديم استقالته، فانه لم يكن من النمط الذي يتحمل الانتهاكات الفظيعة التي وقعت ايام الانتخابات، ولا نميل الى تسويغ موقفه من زاوية علاقته بشخص رئيس الوزراء الصدر.

ابدى الشيخ محمد رضا الشبيبي اراء محددة في ما يخص طبيعة مجالس الوزراء العراقية في العهد المكلي، ويرى بانها مرت بثلاث مراحل، افضلها عهد الملك فيصل الاول الذي زامن سنوات الانتداب، ففي ذلك العهد كانت مجالس الوزراء تؤلف على وفق احكام الدستور، وكان للسلطة التشريعية دورها، ووزنها، وصوتها المسموع في الوزارة التي كانت تحس بنفسها مسؤولة فعلا امام مجلس النواب، في ما شهدت المحلة الثانية، التي تبدأ مع الاستقلال ، تهميش دور البرلمان الرقابي بعد تفاقم تدخل الوزارات في العمليات الانتخابية، الظاهرة التي اخذت تتفاقم من يوم الى آخر اكثر فاكثر. اما المرحلة الثالثة والاخيرة فانها تبدا في نظر الشبيبي، بالاحتلال البريطاني الثاني في اثر قمع انتفاضة مايس ١٩٤١، وقد اتسمت بتدخل البريطانيين المباشر في امر اختيار اعضاء مجلس الوزراء، والهيئات الاخرى احيانا.

في رأي الشبيبي بدا مجلس الوزراء يعاني، في المرحلة الاخيرة، مرضا آخر هو استيزار الاخصائيين، او الجامعيين، بينما الوزارة مهمة سياسية، وللاخيرة رجالها باعتقاده انتقد الشبيبي ظاهرة استيزار الجامعيين داخل اروقة مجلس النواب حين قال:

((يعمدون في كل وزارة تؤلف، او في كل ازمة الى استيزار اربعة، او خمسة من الموظفين الاخصائيين، او الجامعيين الذين يشغلون وظائفهم بجدارة وكفاءة تحتاج اليها البلاد كل الاحتياج، فيوجهونهم نحو القضايا السياسية، وليس مجلس الوزراء إلا مجلس من المجالس السياسية)).

وعلى عكس العديد من الوزراء غير المبدئيين لم يتغير نهج الشبيبي في اي من الوزارات الخمس التي اشترك فيها، لذا يصعب رسم خط فاصل بين مواقفه السياسية، وطروحاته الفكرية بصددها سواء كان في الحكم، ام خارجه.

عن رسالته (الشبيبي ودوره السياسي والفكري)

في شيخوخته

سامي خوندة في شبابه

سامي خوندة :
كنت في قلب الأحداث

رشيد الرماحي
صحفي عراقي راحل

سامي خوندة.. واحد من بقايا جيل عاصر كل الاحداث التي شهدها قطرنا منذ ما يزيد على نصف قرن بدءا من الاحتلال البريطاني للعراق، مرورا بتنصيب فيصل الاول، انتهاء بكل الانتفاضات والثورات التي ساهم فيها حتى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.. لكن ذاكرته مازالت تختزن الشيء الكثير من الاسرار عن تلك الفترة الحاسمة عن تاريخنا وهو اليوم يكتب مذكراته معتمدا على ذاكرته اولا ومجموعة من الوثائق تنشر لأول مرة!

شاهد عيان يتحدث!

× ولكن من هو سامي خوندة؟

– انه من الرعيل الاول من شباب العراق الذين مهدوا وساهموا في الثورة العراقية الاولى (٣٠ حزيران ١٩٢٠) التي اندلعت ضد الاستعمار البريطاني وقواته المحتلة على مختلف المستويات والاصعدة، فقد كانت جريدته (الرافدان) الى جانب نظيرتها (الاستقلال) للمرحوم عبد الغفور البدري، اللسانين المعبرين عما كان يمور في نفوس المواطنين من غليان وحقد على المستعمرين وعملائهم كما كان في طليعة المساهمين بالجمعيات السرية والمحضين للاجتماعات والمواليد التي انعقدت في جوامع بغداد لحث الجماهير على مقارعة المستعمرين. وقد كلفته جهوده الوطنية الكثير من المشاق، فكان في طليعة من تفاهم (السير برسي كوكس) المندوب السامي البريطاني، والحاكم بامره في العراق في جزيرة (هتجام) بالهند مع عدد كبير من المجاهدين، ولكن السجن والاعتقال والملاحقة لم تصرفه عن مواصلة الاتصالات بالاوساط الوطنية في الايام الاولى لقيام الحكم الملكي وان كانت (الوظيفة) قد حدت من نشاطه، الا انها لم تؤثر على مشاعره الوطنية واهتماماته بالقضايا العامة، فهو اذن شاهد عيان لفترة طويلة يكشف النقاب عن اسرارها عبر مذكراته التي بدأ بكتابتها منذ فترة لتصدر في القريب العاجل.

من مقهى المصبغة!

× حين بدأت حواري معه، كان من الصعوبة ان نحدد نقطة البدء فالرجل يحتفظ بتاريخ طويل يتشعب بالتأكيد ليلتهم معظم صفحات (الف باء) لكنه هو بالذات اختار السنة والمناسبة لينطلق منها..

– قال: في سنة ١٩١٩ عاد من اسطنبول المرحوم احمد عزت الاعظمي الصحفي المعروف وصاحب مجلة (اللسان) التي بدأت تشق طريقها ويتحلق حولها مجموعة من الشباب المثقف الواعي.

وكانت اجتماعاتنا تعقد في ادارة هذه المجلة القريبة من مقهى المصبغة و(اللسان) وان كانت ادبية الا انها كانت تنشر الوعي القومي بين الشباب من خلال مقالاتها وقصائدها الوطنية التي كانت تنشرها بين حين واخر، واذكر بهذه المناسبة ان المرحوم محمد مهدي البصير، ولم يكن حينذاك معروفا في الاوساط البغدادية بعث اليها بقصيدة مطلعها.

ليس العراق سوى بيت تقيم به
وانما اسرتي ابناؤها العرب
وما بنو الضاد في كل البلاد سوى

سراة ابناء عمي حين انتسب فتلقفتها ايدي الشباب وكان لها وقع كبير في نفوسهم عززت مكانة المجلة وزادت من انتشارها وسلطت الاضواء على الشاعر الجديد!

هؤلاء عرفتهم!

× ومن هم ابرز الشباب الذين كانوا يجتمعون في ادارة مجلة (اللسان)؟

– مجموعة من الشباب امنوا بحق وطنهم في الحرية والاستقلال وطالبوا لشعبهم النصر المؤزر، واذكر من بين هؤلاء "صادق حبه، عبد الغفور البدري، احمد نيازي وعلي غالب العزاوي (شقيق المؤرخ عباس العزاوي) وجعفر ابو التمن الذي تعرفت عليه لاول مرة عندما كنا نزور عمه المرحوم الحاج سلمان ابو التمن في الخان الذي يحمل اسمه!

× وعندما بدأت تلوح في الافق (الحديث مازال للسيد خوندة) بوادر ثورة عارمة ضد الاحتلال البريطاني للعراق نتيجة ازدياد مظالمه وطلب العراقيين الملح في تشكيل حكومة وطنية ازدادت اجتماعاتنا واتخذنا من بعض المدارس واجهة لتاجيج الشعور الوطني وقد قررنا تقديم روايتين تحملان نكهة وطنية خاصة تخدم الغرض المطلوب الاولى باسم (وقود النعمان الى كسرى) وقد قدمت على مسرح سينما (سنترال) مقابل محلات حافظ القاضي، مثل دور النعمان ابن المنذر المرحوم قاسم العلوي ودور كسرى جسده المرحوم جميل قبطان وهو ضابط في الجيش كان يسكن محلة (سوق الجديد) في الكرخ، اما الرواية الثانية فكانت عن (طارب بن زياد) وقد مثل دور طارق المرحوم احمد زكي الخياط وقد رصد ريع هاتين الروايتين للمدارس الاهلية وليس هذا المهم، انما الاهم استقبال المواطنين اوعجابهم والمعاني التي خرجوا منها بعد اسدال الستار، فقد كنا نرمي الى بعث الروح الوطنية والقومية في نفوسهم، وتجسيد بطولات العرب عبر التاريخ بوجه الغزاة، ولعل من المفيد ايضا ان نؤرخ حركتنا الفنية من تقديم هاتين المسرحيتين ايضا!

شباب الحرس السري

× وحياتك الحزبية متى بدأت؟

– لقد انتميت الى حزب (الحرس السري) الذي ولد وتأسس في مدرسة (التفيض) ولعب دورا بارزا في بلورة الوعي الوطني والمشاركة والاسهام الفعال في ثورة العشرين ويمكن اعتبار (الحرس السري) ثاني حزب تأسي في العراق اما الاول فهو حزب (العهد) الذي تشكل في اسطنبول سنة ١٩٠٩ وضع العديد من الضباط العراقيين الذين كانوا في الجيش العثماني وقد ذهبوا الى سوريا بمعية الملك فيصل الاول وهم يحملون هوياتهم الحزبية (العهد).

وعندما جاءوا الى العراق كان معظمهم يروج لاهداف حزبه، اعود فاقول لقد كنت مع المرحوم علي محمود الشيخ علي من اوائل الشباب الذين انتموا الى (الحرس السري) الذي ناضل على عدة جبهات بما فيها نشر اللغة العربية يوم كان لايتحدث بها الا نفر قليل من المثقفين والكسبة. وبعد ان انتهت ثورة العشرين وتمخضت عن اعتقال معظم القائمين بها وكنت احدهم حين نفينا الى جزيرة (هنجام) وامضينا فيها فترة من الزمن حتى عدنا الى بغداد عام ١٩٢١ لننضم جميعا الى الحزب الوطني الذي اجيز رسميا وتراسه المرحوم جعفر ابو التمن.

× وماذا تذكر خلال هذه الفترة؟

– بعد تنصيب فيصل الاول ملكا على العراق سنة ١٩٢١ وبمناسبة مرور سنة على تتويجه القي القبض علينا ونفينا الى جزيرة (هنجام) مرة اخرى بعد ان ضاق الانكليز بنا: ولكنهم نسوا او تناسوا ان معظم الشعب العراقي كان من اعضاء الحزب الوطني وان لم ينتموا اليه رسميا وبواجهات مختلفة مادامت دعوته وطنية صادقة.

× قاطعته: ولكن ثمة حادثا فجر غضب الانكليز اثناء الاحتفال بمرور سنة على تنصيب الملك فيصل، الا تذكرون ذلك؟

–اذكره تماما، وان اختلفت الروايات حول ذلك لكنني اميل الى صحة ما كتبه الدكتور محمد مهدي البصير عن هذه الحادثة بالذات وقد بدأت حين القى ممثلا الحزبين المعارضين وهما الحزب الوطني وحزب النهضة كلمتيهما وهما تطالبان بالغاء المعاهدة العراقية – البريطانية وكان المرحوم فهمي المدرس رئيس امناء البلاط الملكي ينصت الى الخطب باهتمام فاذا بالحضور يسمعون ضجة وتصفيقا خارج السراي فنظرنا جميعا فاذا بالسير (برسي كوكس) المندوب السامي البريطاني يدخل ليقدم التهنئة التقليدية الى الملك فاستفز مشاعر المواطنين وتعالت الهتافات بسقوط الانتداب وبعدها القي القبض علينا واود هنا التأكيد ان المرحوم المدرس امره الملك فيصل بسماع الخطاب فيمثله شخصيا وليس برغبة منه، لكن المندوب السامي اعتبر ذلك تحقيرا لحكومته اما حسون ابو الجبن (بائع الجبن في رأس الجسر) الذي هتف بسقوط الانتداب البريطاني خلال الاحتفال فقد اتصلت به بعد سنوات وعرفت منه انه كان يجهل نتيجة اعماله وقد اعلن امامي ان جهات رسمية طلبت منه ان يهتف حال وصول المندوب السامي ففعل دون ان يدري!

الوزير: الخزينة خاوية!

× لقد قبل الشيء الكثير عن (جعفر ابو التمن) ومواقفه، فماذا تقول عنه انت؟ اجاب:

– اذكر عن ابي التمن مواقف عدة، فبعد استيزاره للتجارة سنة ١٩٢١ استقال بعد ثلاثة اشهر، ولكنه عام ١٩٣٦ ومع انقلاب بكر صدقي صار وزيرا للمالية فاذا به يخطب عبر الاذاعة ليعلن للناس ان (الخزينة خاوية على عروشها) فكانت سقطة تناظلها الناس عن وزير مالية كشف اسرار وزارته، لكنه رغم ذلك ظل وطنيا صادقا ونظيفا خدم امته في ظروف صعبة مع انه ليس رجل سياسة او تدرج في مدارس عاية وخاض تجارب عدة ليتولى مسؤوليته الا ان مظالم الاستعمار البريطاني قادته الى هذه المناصب رغما عنه!

× ويسكت سامي خوندة فجاة وهو يجمع شتات افكاره وعندما اطلب منه المزيد، يقول بصراحة، لتترك ذلك للمذكرات التي ستجد فيها جوابا لاكثر عن سؤال وتساؤل، ولكنه وقد عاصرتك الاحداث، لاينسى وهو يودعني عند عتبة بابه ان يذكرني بالامانة في نقل ما روى فقد كان صحفيا مثلي ولكن قبل ٥٨ سنة اما اليوم فهو على اعتاب شيخوخة وفي عهد حقق المعجزات، معجزات حلم بها جيله في العشرينات فجاء الحلم بها جيله في العشرينات فجاء البعث ليحيل الحلم الى حقيقة وما اكبرها واوسعها.

عن مجلة الف باء 568
15 آب 1979

شخصياتهم من تواقيعهم

نوري السعيد

احمد فوزي عبد الجبار
صحفي وكاتب راحل

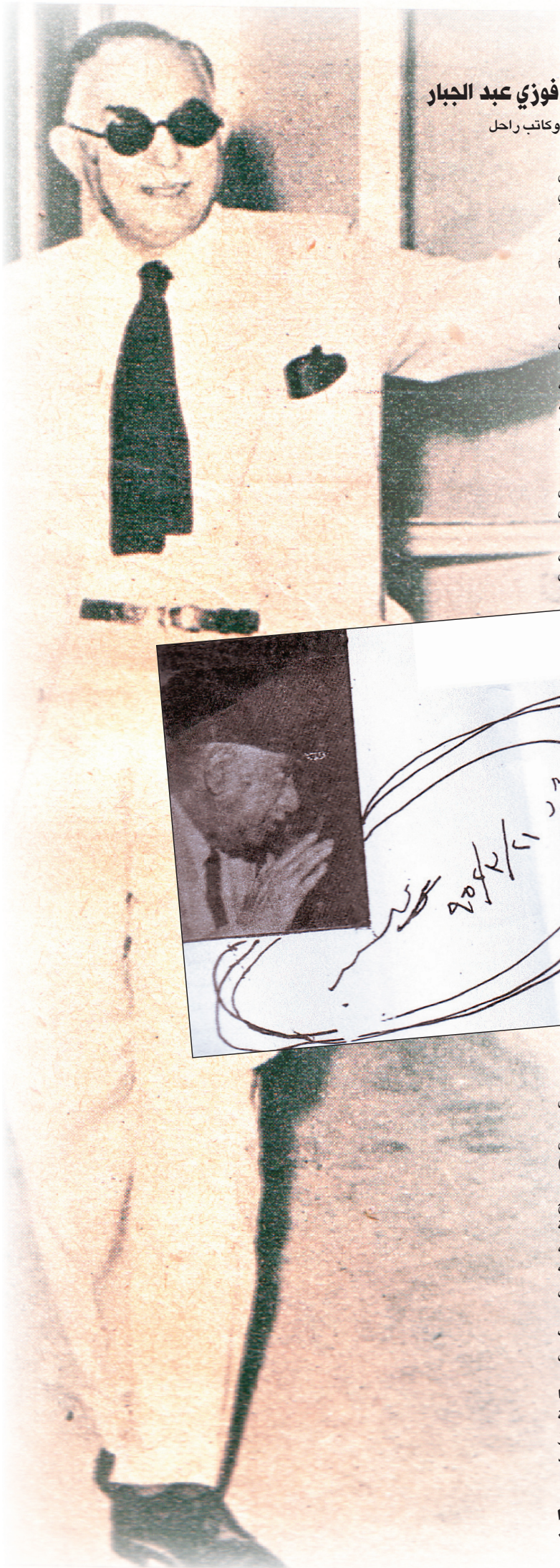

لعب نوري السعيد دورا مهما ورئيسيا في العهد الملكي ،فكان (المحرك)الاول للاحداث المهمة والساخنة في تلك الحقبة من تاريخ القطر العراقي. بل كان (بطلا) لمواقف سياسية عديدة. ونجما لامعا في اغلبها!

كانت (الهالة) التي تحيط بشخصية نوري السعيد؛ مخيفة ومرعبة..

وجه صارم؛ فيه عينان ثاقبتان. فوقهما حاجبان كثان عريضان، غزا الشيب شعرهما، ونظراته تنفذ الى الاعماق بكل قوة، وصوته العميق ذو البحة، يدخل الى السمع بدون استئذان، بل انه اقرب الى الاوامر العسكرية، منه الى صوت السياسي او الدبلوماسي.

فعلى مدى السنوات الطويلة، التي مارست فيها الصحافة، والتي ولجتها من باب السياسة الواسع.. كنت اسمع وارى هذه الشخصية المهمة التي حكمت العراق طوال سنوات عهده الملكي.

فكم من مرة.. حضرت له مؤتمراً صحفيا.

وكم من مرة .. شاهدته، وهو يلقي كلمة في حفلات استيزار وزاراته العديدة.!

وكم من مرة.. التقيت به، من قرب ومن بعد، في وليمة رسمية او حفلة دبلوماسية!

ولكنني في كل مرة.. ارى فيه شيئاً جديداً، مثيرا ورهيباً!

ويمكنني ان احكي هنا، بعض ما حدث لي مع (الباشا السعيد).. حكايات فيها من الطرافة الشيء الكثير..

ففي المؤتمر الصحفي الذي عقده في الساعة العاشرة من صباح يوم الاحد ٩ تشرين الثاني سنة ١٩٥٢ في مقر حزبه (الاتحاد الدستوري) الذي حضره مندوبو الصحف ووكالات الانباء، ولفيف من اقطاب الحزب..

استهل (الباشا) كلامه بالتحدث عن الاوضاع الراهنة، وموقف حزبه منها – ولم يخرج على اقواله السابقة التي رددها في مناسبات مختلفة، في المجلس النيابي، وفي المؤتمرات الصحفية، وفي مناهجه الوزارية الكثيرة العدد – وكان من بين ما قاله مرتجلاً.

– ان سياستنا الخارجية للحزب، ترى ان ليس العراق مصلحة في هذه الحرب الباردة بين الشرق والغرب.. وان لا ناقة لنا فيها ولا جمل..!!

وبعد ان انهى (الباشا) كلامه الارتجالي، وزع خليل كنة سكرتير عام الحزب، بيانا مطولا مطبوعا على الصحفيين.. استأنف (الباشا) كلامه قائلا:

– من لديه سؤال؟.. نحن حاضرون للاجابة عليه..

فانهالت الاسئلة من الصحفيين.. وكان يجيب عليها باسلوبه، الذي يطغي عليه المرح، وتتخلله النكتة وباللهجة البغدادية احياناً.. بكل صراحة.

سألته، بعد ان قدمت نفسي انني امثل حزب الاستقلال.. اجابني باسماً ونبرة من السخرية تمتزج بكلماته:

– إي .. والنعم..!!

قلت لدي، (يا فخامة الباشا) سؤالان.. الاول يتعلق بقولك حول الحرب الباردة، ان ليس لنا ناقة فيها ولا جمل.. فهل يعني ذلك ان حزب الاتحاد الدستوري يتبنى سياسة (الحياد الايجابي) المطروحة في ساحة الدول العربية المتحررة...؟!

ولم اكد انهي سؤالي، وابدأ بطرح السؤال الثاني، حتى رأيت وجه نوري السعيد يمتقع، ويلتفت الى بعض كبار حزبه الذين يجلسون الى جانبه، وقال بعصبية ممزوجة بالغضب والاستنكار:

– انا قلت نحن ليس لنا في هذه الحرب ناقة ولا جمل.. ففسروها انتم كما تشاؤون!

وعندما اردت ان ارد عليه، اجابني مقاطعاً بحدة:

– هذا كفاية.. ولا اريد اي سؤال حول هذا الموضوع.. الاسئلة يجب ان تكون حول البيان المطبوع الذي وزع عليكم الان..

رفعت يدي للسؤال الثاني..

قال (الباشا) : ها .. بعد شكو عندك؟!

قلت : (يا باشا) سؤالي الان حول ما ورد في بيانكم المطبوع..!

قال بامتعاض: تفضل.. لكن لا تطولها..!

قلت: لقد وردت في بيان الحزب الجملة التالية: ".. واعتبار المعاهدة العراقية البريطانية، لا تأتلف مع تطور العراق والتطور العالمي، ولا مع ميثاق هيئة الامم المتحدة.. فهل يعني ذلك ان حزب الاتحاد الدستوري يدعو الى الغاء المعاهدة ام الى ابدالها بغيرها..؟!

لم يجب (فخامته) على هذا السؤال، بل خرج مسرعاً من قاعة المؤتمر، وهو يقول:

– ارجع الى المحاضرة التي القيتها سابقا..

فلم افهم ماذا يريد (فخامة الباشا) من ذلك، ولم يفهم الاخرون ايضا!!

وهكذا .. خرجنا من (الاتحاد الدستوري) لنشاهد عشرات الصبيان من باعة الصحف، وهم ينادون باعلى اصواتهم، على الملحق الذي اصدرته جريدة الحزب: "بيان خطير لنوري السعيد"!!

خرجت من ذلك المؤتمر الصحفي (الخطير)، لانشر في جريدة "اليقظة" المسائية في عددها المرقم ١٥٦٩ الصادر مساء ذلك اليوم تقريرا "ريبورتاجا" عن ما دار في مؤتمر نوري السعيد الصحفي..

ومرة اخرى.. التقيت نوري السعيد، في حفلة العشاء التي اقامتها السفارة الايرانية في بغداد، بمناسبة مؤتمر ابن سينا المنعقد في بغداد، والذي حضره عدد من الشخصيات العربية والعالمية وبعض كبار المفكرين الايرانيين، وذلك مساء يوم ٢١ اذار ١٩٥٢.

كان نوري (باشا) واقفاً وسط جماعة من انصاره ومريديه، وبيده كاس فيه قليل من الويسكي، والمرح والحبور يطغيان على وجهه، والقهقهات تنطلق بين الحين والحين من تلك الحلقة المحيطة به ، كالسوار للمعصم..!

تقدمت منه ، وفتحت له دفتر الذكريات "الاوتوكراف"، وقلت له:

– (يا باشا).. اني من هواة جمع تواقيع الشخصيات البارزة.. وان دفتري يفتقر الى توقيع (فخامتكم).. فهل تتكرمون بتسطير بعض الكلمات، وتذيلونها بتوقيعكم الكريم؟!

اجابني.. بعد ان حدجني بنظرات فاحصة، واظنه عرفني من اسئلتي الملحلحة في مؤتمراته الصحفية الكثيرة، وبعد ان وضع كأس الويسكي على منضدة جانبية اصبح دفتر الذكريات بين اصابع يديه، وفتحه متفحصا التواقيع والكلمات المسطرة فيه.. قال بلهجة بغدادية ضاحكاً..

– هاي.. شلون كدرت تجمع هل عدد من التواقيع؟!

قلت : (ياباشا).. انها هواية محببة الى نفسي، وبالتالي فهي ذخر تاريخي، تفيدني في مستقبل ايامي الصحفية..

قال: وماذا تريد ان اكتب لك..؟!

قلت: كما تشاء..

قال: لا.. هسة مو وقت كتابة.. راح اوقعلك فقط..

ووقع فعلا، في الركن العلوي الايسر من ورقة بيضاء، وكتب تاريخ اليوم تحت توقيعه، وقال مازحا:

– ما رأيك بتوقيعي؟!

قلت: انه واضح وصريح.. ويقرأ من غير جهد وعناء..

قال: انا صريح في كل شيء.. في توقيعي، وفي سياستي.. لا الف ولا ادور.. انظر.. انك تستطيع ان تقرأ توقيعي بكل وضوح.. اليس كذلك؟!

قلت: نعم.. (يا فخامة الباشا).

قال: ولكن لم تسألني: لماذا وقعت لك في الطرف العلوي الايسر من الصفحة؟!

قلت مستغربا: لقد انتهيت الى ذلك فعلا.. ولكن لماذا؟!

قال ضاحكاً: لكي لا تكتب شيئاً فوق توقيعي، وتنسبه اليّ لانني لا اثق باكثر الصحفيين، ولاسيما الشباب منهم..!!

– وضحك (الباشا) بعدها، بملء شدقيه.. وانطلقت الضحكات من الحلقة المحيطة به من جماعته ومريديه، على هذه الالتفاتة (البارعة) من زعيمها (السعيد)!!

وتوقيع نوري السعيد.. واسمه الكامل نوري بن سعيد بن صالح بن طه، ولد ببغداد سنة ١٨٨٨، وترأس الوزارة العراقية اربعة عشرة مرة في العهد الملكي – واضح كل الوضوح، يمكنك ان تقرأه بكل سهولة، فيظهر اسمه الاول كاملا، اما اسم والده الذي وضع له (ال) التعريف.. فيسرع به، ولايبدو حرف (العين) فيه واضحا، ثم في نهايته يتلاشى..

التوقيع: لا لف فيه ولا دوران، كسياسيته التي سار عليها كل دروب حياته الطويلة، فلم يكن مناوراً سياسياً جيداً، فاذا حاول ان يناور في بعض الامور، فسرعان ما يعود الى سجيته الواضحة الصريحة.

لقد ادت به تلك السياسة التي انتهجها، والتي كان يعتبرها دوما (اجتهاداً) لا تخلو من الخطأ والصواب – الى ان يقتل على قارعة الطريق، وهو مرتدياً عباءة نسائية، في اليوم الثاني لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، وان يتلاشى مبعثراً في شوارع بغداد، ولم يجد له قبراً يوسد فيه، ولا حفرة يدفن فيها وهكذا.. كان قدره!.

عن كتاب شخصياتهم من تواقيعهم

احمدفوزي . بغداد 1986

مباحث في تاريخ البريد العراقي في العهد العثماني

زين احمد النقشبندي

البريد والخدمات البريدية في العراق قديمة وعريقة عراقة ارض الرافدين العراق ، فقد كانت ارضه مهد الحضارات الانسانية التي اضاءت اشعتها ظلام العالم في سالف الازمنة الغابرة ،وقد كشفت اللقى الاثرية من اختام و الواح ورقم طينية التي تم العثور عليها اقدم الاثار البريدية التي تعود الى الحضارات السومرية والاكدية والبابلية والاشورية ودورها في اختراع وسائل التواصل المجتمعي عن طريق الرسائل كونها اقدم وسائل الاتصال والتواصل كذلك تبين هذة اللقى الاثرية المتمثلة باقدم الرسائل ووثائق المنقولة من منطقة الى اخرى حيث كشفت الوثائق والرسائل المتبادلة بين ملوك مصر واشور وبابل والتي وصلتنا هذا ، وكذلك كشفت احدى الرقم الطينية التي تم العثور عليها وصية رجل الى ابنة يوصيه اكتساب مهنة الكتابة لانها تهئ له العمل في الوظائف لدى بلاط الملك ، غير ان الابن كان يميل الى العمل في سلك البريد خلاف رغبة ابيه ، حيث ينصحه بقوله (اما ساعي البريد فانه يحمل الاثقال ويكتب وصيته في مهمته ، توقعا لما قد يصيبه من الوحوش الاسيوية ٠٠٠٠٠٠) .

ومما تقدم نستدل وجود اقدم انظمه التبادل البريدي التي كانت في نحو عام ٢٤٠٠ ق٠م من خلال استخدام العجلة التي تم اختراعها في العراق وهذا دليل على دور العراق في اختراع اولى وسائل التواصل المتمثلة في عربة البريد الاكدية ٠

وقد تطورت وتوسعت وازدهرت هذه الخدمات البريدية في العراق خلال فترة الحضارة الاسلامية خاصة بعد ان اصبحت بغداد عاصمة الخلافة العباسية ، حيث وضعت القوانين والانظمة وكان لرجال البريد شأن كبير وجاه مسموع لدى الحكام والامراء واستحدث واستخدم بشكل كبير اول مرة ما يسمى اليوم البريد الجوي الذي كان ينقل انذاك بالحمام الزاجل .

كل هذه الحقائق كشفت بشكل واضح وبالدليل الذي لايقبل الشك ان البريد وانظمة التبادل البريدي الاولى التي عرفتها البشرية بصور عامه كانت في ارض العراق.

× وخلال فترة الحكم العثماني للعراق عرفت واشتهرت العديد من خطوط نقل البريد خلال هذه الفتره حيث كان البريد قبل هذا يتم بطرق عديدة منها بواسطة المسافرين الذين كانوا ينزلون في خانات المدن فيلتقي بهم الناس الذين يريدون ارسال رسائلهم .

× كان السلطان العثماني عبد المجيد بن محمود الثاني الذي حكم للفترة من عام (١٢٥٥ هـ/١٨٣٩م) ولغاية (١٢٧٧ هـ/ ١٨٦١م) قد اصدر عام ١٨٤٣ م امراً اثناء فترة تولي والي بغداد محمد نجيب باشا الذي تولى ولاية بغداد للفترة من (١٢٥٨ هـ/ ١٨٤٢م) ولغاية عام (١٢٦٥ هـ/ ١٨٤٨ م) بالبدء بارسال البريد كل خمسة عشر يوماً من اسطنبول الى بغداد وبالعكس من بغداد الى اسطنبول وما يمر به هذا الطريق من الولايات والنواحي والاقضية عليه يمكن ان نعد عام ١٨٤٣ م من اقدم التواريخ التي وصلتنا حول بداية مزاولة تقديم الخدمات البريدية في العراق وربطها بالعالم الخارجي

× وفي عام ١٨٥٧ وافقت الحكومة العثمانية على مد خطوط التلغراف (البرق) في العراق من قبل بريطانيا شريطة ان يكون المشروع تابع للدولة العثمانية وان تكون دوائر البرق والبريد في العراق تابعة لها .

× في عام ١٨٦١/١٢٧٨ جرى افتتاح الخط البرقي الممتد بين بغداد واسطنبول

× وفي عام ١٨٦٣ تم مد خط سلكي اخر من بغداد الى خانقين ومنه الى ايران وخط سلكي اخر يربط بغداد بالبصرة والفاو والخليج العربي وصولا الى الهند

× في عام ١٢٨١ هـ/١٨٦٤ جرى اتفاق بين الحكومتان العثمانية و البريطانية تعهدت بموجبه الحكومة البريطانية بمد خطين للبرق فوق الاراضي العراقية وعلى نفقتها الخاصة وهما :

١- الخط الاول بين بغداد وخانقين ومنها الى كرمنشاه وطهران ثم الى ميناء بوشهر في الخليج العربي حيث يرتبط بخطوط الاتصال البرقي مع الهند .

٢- الخط الثاني يمتد بين البصرة والفاو ثم فيما بعد الى القرنة ليتفرع الى فرعين يمتد الاول من القرنة الى بغداد حيث يرتبط بخط البرق عبر كركوك واربيل ونصيبين وماردين وديار بكر ثم الى اسطنبول والخط الاخر من القرنة الى بغداد عبر مدن الفرات مارا بسوق الشيوخ و السماوة والديوانية والحلة ومنها الى بغداد .

× وفي عام ١٨٦٨ سمح والى بغداد تقي الدين باشا للحكومة البريطانية بفتح مكاتب بريدية بريطانية وهندية في البصرة وبغداد شرط ان يتم نقل البعائث البريدية عن طريق نهري دجلة والفرات .

× وفي عام ١٨٦٩ صدر نظام ادارة البريد (بوستة ادارة سي نظامنامه سي) الذي تزامن مع تولي مدحت باشا ولاية بغداد اذا شهد البريد في العراق خلال هذه الفترة توسع حيث تولت السفن العثمانية او سفن بيت لنج (الانكليزية) نقل بريد البصرة الى بغداد و المدن الواقعة على شاطئ دجلة

قد تطورت وتوسعت وازدهرت هذه الخدمات البريدية في العراق خلال فترة الحضارة الاسلامية خاصة بعد ان اصبحت بغداد عاصمة الخلافة العباسية , حيث وضعت القوانين والانظمة وكان لرجال البريد شأن كبير وجاه مسموع لدى الحكام والامراء واستحدث واستخدم بشكل كبير اول مرة ما يسمى اليوم البريد الجوي الذي كان ينقل انذاك بالحمام الزاجل .

، اما البريد البحري فتولت نقله سفن البريد الانكليزية، كما نقل البريد برا بواسطة الجمال الى نجد واستخدم المشحوف في نقل البريد الداخلي خاصة في مناطق المنتفك ، وقد ارتبطت دوائر البريد والبرق المنتشرة في الولايات العراقية بغداد والبصرة والموصل والمدن العراقية الاخرى بالادارة المركزية للبريد والبرق في بغداد ،وقد اطلق على هذه الادارة الموحدة لهذه الخدمة (مفتشية البرق والبريد) .

× وقد كان يرأس ادارة البرق والبريد عام ١٨٧٥ مفتش تتبعها دائرة مركز الولاية التي كان يقوم بادارة شؤونها (مدير) ثم تغير اسم هذة الدائرة في اخر القرن التاسع عشر وصارت تعرف بأسم (بوستة وتلغراف ادارة سي) رئاسة مديرية البرق والبريد ، وكان يديرها رئيس مديرين (باش مدير) يعمل تحت امرته مفتشان تنفيذيان احدهما للبريد والاخر للبرق.

× ومع التطور والتوسع وانتشار دوائر البرق والبريد في ولاية بغداد التي كانت تشمل تقريبا كل ارض العراق الحالي زائد بعض المناطق والدول ، أعلنت الدولة العثمانية عام ١٨٧٥ انضمام العراق الى الاتحاد البريدي العالمي الذي تأسس في عام ١٨٧٤ بوصفة أقليما تابع لها وقد نشر ذلك ضمن وثائق البريدي العالمي – المؤتمر الثاني الذي عقد في باريس والمكتب الدائم في برن – سويسرا عام ١٨٧٨ .

× في عام ١٨٧٨ وقعت الدولة العثمانيه على وثائق الاتحاد البريدي العالمي ليشمل التزامها الدولي البريدي جميع الولايات والاقاليم التي كانت تابعة لها ومنها الولايات العراقية كأقاليم تابعة للبلد عضو الاتحاد ومنذ ذلك التاريخ استفاد العراق من الخبرات الادارية والفنية التي كان يتمتع بها اعضاء هذا الاتحاد من الدول الاوربية .

× وفي اطار جهود الحكومة العثمانية لتطوير الخدمات البريدية قررت شركة عمان العثمانية سنه ١٨٨٥ التي كانت تعمل في النقل النهري في دجلة بين بغداد والبصرة استخدام اثنان من بواخرها وهما (الموصل) و(مسكنة) لنقل البريد حيث جرى تحديد ايام الاربعاء من كل اسبوع موعدا لمغادرة باخرة البريد لبغداد، ويوم الاثنين موعدا لعودتها من البصرة الا ان هذه الخدمات لم تستمر طويلا بسبب تعطل الباخره الاولى ٠

× في عام ١٩١١ تم اعادة بناء بناية البرق والبريد ببغداد في منطقة القشلة المقابلة للمدرسة المركزية وجامع النعمانية وقد أحتفل بوضع حجر الاساس لهذا المشروع في ١٦/كانون الاول عام ١٩١١ بحضور والي بغداد جمال بك الذي حكم بغداد للفترة من ١٦/اب ١٩١١ – ولغاية ١٧/اب ١٩١٢ .وكان افتتاحها في يوم الاحد ٢٩/حزيران ١٩١٣ بحضور والي بغداد وكبار موظفي الولاية.

× كانت دائرة المصالح الخاصة التابعة لتحريرات الولاية تتضمن :- (مصلحة البريد البري (بغداد – حيفا) اسبوعية ، – مصلحة الرسائل مصلحة البطاقات البريدية – مصلحة الباكيتات – مصلحة بريد الرسائل – مصلحة الرزم الخاصة – مصلحة بريد الرزم البريدية – الحوالات (الداخلية – الخارجية – بيع الطوابع البريدية)

× كانت ادارة البرق والبريد تتألف في السنوات الاولى من القرن العشرين من:

١) دائرة مدير البرق والبريد التي يشرف عليها باش مدير (رئيس مديرين) وتتولى الاشراف على دوائر البرق والبريد في ولايات العراق الثلاثه بغداد- البصرة- الموصل.

٢) دائرة التفتيش وفيها مفتشان واحدة للموصل والاخرى للبصرة .

٣) قلم باش مدير (رئيس المديرين) ويديره رئيس كتاب (باش كاتب) وفيه كاتبان للتحريرات والمحاسبة وعدد من الموظفين .

٤) مديرية برق مركز الولاية ويقوم بأدارتها مدير ويعمل فيها عدد من الموظفين .

٥) مديرية للبرق والبريد في مركز الولاية لمدينة بغداد وكربلاء والديوانية وجميع المدن واقضية الولاية تقريبا وفي عدد من النواحي حيث كان العراق قد شهد في السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر توسعاً في الخدمات البريدية حتى شملت معظم المدن والاقضية من خلال تأسيس دوائر وشعب بريدية عديدة تخصص قسم منها بنقل الامانات وقسم اخر بنقل الرسائل.

× بعد الحرب العالمية الاولى وخلال فترة الاحتلال ومن ثم الانتداب البريطاني للعراق كان البريد يدار من قبل الموظفين السياسيين البريطانيين والاجانب الذين جاءوا بهم من مستعمراتهم وكانت خطوط البريد وخدماته مسيرة بالدرجة الاولى لاغراض مصلحة جيوش الاحتلال .

اهم خطوط نقل البريد التي عرفت في العراق بالعصر العثماني:

× بريد السعاة المعروفين بالتتارية الذين يقومون بنقل البريد بين بغداد واسطنبول والذي كان يستغرق مدة تتراوح بين ١٢ – ١٣ يوما مؤمنا في نفس الوقت خدمة بريدية الى (٤٢) مدينة يمر بها بين بغداد واسطنبول

× بريد الخيل الذي كان يبدأ من بغداد مرورا بالموصل – ماردين – دياربكر – سيواس –ازمير – اسطنبول

× بريد الهجن (الجمال)الى حلب الذي كان يمر بمدن الدليم (الرمادي وعنة- ودير الزور) قاطعا الرحلة ب ١٥ يوما .

× بريد الصحراء حيث كانت الرسائل تحمل من بومباي (الهند) الى البصرة بسفن شركة الهند الشرقية الانكليزية او بالسفن العربية او الهندية وفي البصرة كانت تسلم هذه الرسائل الى السعاة (التتار) الذين يحملونها من مركز محطة الزبير عبر الصحراء الى حلب ثم الى اسطنبول ومن هناك الى فينا والى لندن.

عادل عوني وجريدته (الحوادث)

شكيب كاظم سعودي

عادل عوني مع مجموعة من المثقفين والصحفيين

الاستاذ عادل عوني.. صاحب جريدة الحوادث العراقية.. وهي جريدة يومية سياسية تصدر مساء كل يوم.

هو من مواليد ١٩٠٩ ولد بمدينة الموصل تلك المدينة العريقة بآثارها والتي كانت مثار نزاع كبير بين المملكة العراقية الفتية اول تشكيلها وبين تركيا.

كانت تركيا تطالب بقسم الموصل اليها اثر انتهاء الحرب العالمية الاولى وكانت المملكة العراقية الفتية تدافع عن مدينتها العزيزة بكل ما أوتيت من قوة. وقد عرض موضوع هذا النزاع على عصبة الامم عقب الحرب العالمية الاولى وذهب جلالة الملك فيصل الاول ملك العراق ليدافع عن حق مملكته الجديدة في هذه المدينة. لقد وقف بنفسه امام عصبة الام ليدافع عن حق العراق في مدينة الموصل وقد ربح في كفاحه واصدرت عصبة الامم قرارها العادل باحقية العراق بالموصل.

ونعود الى الاستاذ عادل عوني، لقد كان ابوه مديرا للبوليس في الموصل وكان يعيش حياة ترف في بيت ابيه الكبير، لكن القدر لم يمهله فتوفي ابوه وهو ما يزال في الخامسة من عمره.

اكمل دراسته الابتدائية والثانوية في الموصل ثم سافر الى بيروت ليكمل دراسته العالية هناك. ولكن ضيق الحال ونفاذ ما خلفه له ابوه اضطراه ان يعود الى الموصل عام ١٩٢٤.

كان يعشق الصحافة ولهذا كان فرحه عظيما حين نشرت له احدى الصحف المحلية وصفا للاستعراض الرياضي الذي اقيم لمدارس العراق في ساحة الكشافة ببغداد، ويضيف الاستاذ عادل عوني فرحته الكبرى حين نشر له ذلك المقال فيقول..

(ولقد طرت فرحا وخيل الي يوم صدرت الجريدة للاسواق وفيها مقالي خيل الي ان الناس كلهم قرأوا ذلك المقال.

وكان نشر ذلك المقال بداية تحول عملي في حياته جرفه تيار الصحافة فاتخذ منها مهنة بعد ان كان مجرد هاو من هواتها.

كان يكره السياسة ولهذا فان اول مجلة اصدرها باسم "الميثاق" كانت مجلة ادبية فنية واعتبرت وقت صدورها فتحا جديدا في ميدان الفن الصحفي بالعراق، وقد عاشت هذه المجلة سنتين اصدر بعدها مجلة اخرى باسم "الحديث" وكانت ادبية فنية ايضا. لكنها تعطلت بعد ستة اشهر فاصدر جريدة ادبية باسم "البعث" لم تلبث الحكومة ان امرت بتعطيلها.

وجاءت نقطة التحول الاخرى في حياته عندما طلب امتيازاً (رخصة) باصدار جريدة جديدة ولكنهم اظهروا انهم لن يسمحوا له باصدار جريدة الا اذا وافق ان تكون هذه الجريدة احسان حال (حزب الوحدة الوطنية) الذي كان يرأسه السيد علي جودة الايوبي، وكان رئيسا للوزارة انذاك.

وهكذا ارغم على الاشتراك في المعترك السياسي وصدرت جريدة "الوحدة" لسانا لذلك الحزب، واندفع الاستاذ عادل مهاجم خصوم الوزارة وحزبها هجوما عنيفا بلا رحمة ولا هوادة وكان قلمه لاذعا شديداً.

ولهذا ما كاد الحزب يتخلى عن الحكم حتى كانت جريدة (الوحدة) اول جريدة تغلقها الحكومة الجديدة، وكانت النقمة عليه شديدة بحيث باءت بالفشل كل محاولاته لاصدار جريدة جديدة.

وهنا اضطر للاشتغال محررا في جريدة البلاد التي كان يصدرها معالي المرحوم الاستاذ رفائيل بطي. وفي نفس الوقت كان مراسلا لجريدة الاهرام المصرية وجريدة الدفاع بفلسطين ووكالة اناضولي التركية، ثم عمل محررا في جريدة الزمان حتى سنة ١٩٣٩ حيث اصدر جريدة فكاهية باسم "ابي نؤاس" ولكن الحكومة الغت امتيازها بعد ستة اسابيع.

وفي عام ١٩٤٠ اصدر جريدته (الحوادث) وكان تبويبها مبتكرا بحيث قلدتها جميع صحف بغداد، وخلال الحرب العالمية الاخيرة عانى هذا الرجل الكثير من الويلات والمتاعب وتحكم الرقابة وسيطرة السلطات الحاكمة، ومع هذا فقد استطاع ان يسير بالجريدة في هذا الجو المضطرب واستمرت الحوادث في خطتها القومية حتى الان حيث تعد من الصحف المحترمة المعدودة في العراق.

والحوادث جريدة سياسية مستقلة ولكن صاحبها يعلن انه من المؤمنين بسياسة فخامة السيد نوري السعيد وبهذا الايمان يندفع في تأييده بالدفاع عن سياسته التي يجد فيها خدمة للقومية العربية ولوحدة العرب.

هذا الرجل المحامي الذي كان يرى حب الصحافة في دمه منذ نعومة اظفاره انه لم يكمل دراسته العالية لان الظروف التي احاطت به لم تهيء له ما هيئت لاولئك الذين نجحوا في حياتهم الدراسية وفشلوا في ميدان العمل محك الرجال.

ولكنه بتلك القابليات التي منحها له الله استطاع ان يجعل من هذه الحياة الواسعة اكبر جامعة دراسية، لقد تخرج في جامعة الحياة التي تخرج فيها الكثيرون من ابطال التاريخ.

الحوادث

منح ايران ٢٣ مليون دولار استطرادا للمساعدات الفنية الامريكية بأيران

الحالة في القدس... حرب على يد يهودي ضد يهودي

مراكش...

من هو الجلاوي الخائن الاول بمراكش؟

يكسب زوجته في القمار ويتزوجها عامين!

حينما يذهب الى بريطانيا يتطوق البرة كما يتطوقها اي انكليزي

مصر في هيئة الامم المتحدة (المصري) امس في مشاكل التي تواجهها

هزات ارضية جديدة باليونان

التوتر الدولي قد يطرأ على حرب ويطالب بتوحيد سياسة الغرب

لقد درس الناس. ودرس الحياة واختط لنفسه الطريق التي يرضى فيها ميوله الصحفية ويخدم منها ذلك المبدأ الذي آمن به منذ فتحت عيناه للنور. انه يؤمن بوحدة العرب وبقومية العرب، لقد استخدم في خدمة مبدئه هذا تلك الميول الفنية التي دفعته لاصدار صحيفتين فنيتين. لقد جند كل امكانياته للخدمة في الميدان السياسي الذي دفع اليه مضطراً.

هذا الرجل متزوج وله ولد واحد وثلاث بنات ويقيم في بيت يوحي اليك كل ركن فيه انه بيت شاعر وليس بيت صحفي له مكانة في ميدان الصحافة السياسية بالعراق.

هذا الرجل يريد ان يتحدث ليس لزملائه من رجال الصحافة الامريكان فحسب انما يريد ان يخاطب الشعب الامريكي كله. ومن حق رجل الصحافة ان يخاطب الشعب الذي ينتمي اليه ومن حقه ايضا ان يخاطب كل شعوب العالم.

ان الشعب العربي يستمع الى ما يحدثه به رجال الصحافة الامريكان في كل جزء من اجزاء العالم العربي. ويريد الاستاذ عادل عوني صاحب جريدة الحوادث العراقية ان يتحدث اليوم الى الشعب الامريكي.

انني اسجل الان ما يقوله الاستاذ عوني..

"لقد تعرفت على الكثيرين من الامريكان في حياتي الصحفية ومنهم ساسة بارزون ودبلوماسيون ورجال صحافة اذكر منهم المستر وبندل ويلكي الذي طاف العالم بعد فشله في الانتخابات الامريكية ووضع كتابه عن تجواله.

والمستر لوى هندرسون الذي كان وزيرا مفوضا لبلاده في العراق ثم تولى منصب وكيل وزارة الخارجية لشؤون اسيا والشرق الاوسط وابعدته الاصابع الصهيونية عن منصبه هذا لأنه عرف العرب على حقيقتهم ولمس عدالة قضيتهم ودافع عنهم باخلاص وحماس.

وعرفت اشخاصا آخرين لا اجد من الوقت متسعا لذكرهم، فلمست منهم انهم جميعا كانوا يجهلون كل شيء من العرب وانهم دهشوا عندما لمسوا حقائقهم بايديهم، انهم كانوا يظنون ان العرب شعب لا يختلف في شيء عن النور او البدو الرحل، يتشبط في ظلال الجهل ويعيش حياة بدائية كما كان يعيشها الانسان قبل الفي عام.

وكنت كلما سمعت شيئا من هذا القبيل من احد الامريكيين كنت اتمنى ان املك ثورة ووكفلر او فورد لاجلب الشعب الامريكي تباعا الى البلاد العربية ليشهدوا بانفسهم اننا شعب له تاريخ عريق في المدينة واننا لا نقل الان مدنية عن العالم المتمدن، ولا ابالغ ان قلت اننا نمتاز عن هذا العالم بالصدق والوفاء والاخلاق والامانة وجميع الخصال والمزايا التي بشرت بها الانسان جميعا، ولكن همنا الوحيد اننا مقصرون كثيرا في مجال الدعاية لانفسنا وخصومها يتفوقون علينا في هذا الميدان مع الاسف. مع اننا نملك من الامكانيات والثروات والذكاء ما تستطيع معه ان تتغلب به على هؤلاء الخصوم لدينا مثلا النفط ان قطعناها عن العالم الغربي فانه يتوقف حالا عن العمل كما يتوقف محرك السيارة عندما ينضب منها البترول مثلا.

وعندنا من الانفس والثروات ما لا يستطيع العالم الغربي ان يستغني عنه، وان استغني عنه فانه يرجع الى حالة البداوة التي يوسفوننا بها ظلما وعدوانا.

انني على هذا الاساس وبهذه الروح اخاطب الشعب الامريكي كفرد يقدر هذا الشعب ويقدر اهميته وضرورة وجوده لمدنية القرن العشرين والاسلام العالمي. فاطلب اليه ان يهتم بهذا الجزء من العالم ويسأل عنه الامريكيين الذين درسوا اوضاعه عن كثب ليعرض مدى اهميته للمدنية الحاضرة وان يقف هذا الشعب لمساندتنا في تحقيق اهدافنا في الحياة وهي لا تختلف باي شكل من الاشكال عن اهداف الشعب الامريكي نفسه في الحياة.

انني اسكن في ضاحية فيها اربعين دارا يشغل تسع وثلاثون منها مهندسون وخبراء امريكيون يقيمون مع عائلاتهم واطفالهم. وقد اختلط اولادي بهم كما اختلطت انا بهم جميعا فامت لهم حفلة تعارف عندما انتقلوا الى جوار داري وتوطدت اواصر الصداقة بيننا فصرنا كما لو كنا من شعب واحد او امة واحدة تجمعنا الانسانية النبيلة بحيث ان بعض افراد هذه العوائل عندما كانوا يسافرون الى امريكا في اجازات واشغال كنت اجدهم يبكون في العطاء وعندما كنت اذهب انا وزوجتي واولادي لوداعهم.

ولابد لاحد هؤلاء الامريكان الذين جاورونا ان يقرأ هذه الحقيقة في امريكا فيبعث الى الصحف الامريكية بتأييده لما اقول.

هكذا عرفت الرصافي

محمود العبطة
كاتب ومحام راحل

لا ادري، ولا اخال القاريء يدري، سر الشغف بالذكريات وراحة النفس لها، فالشيخ يتذكر ايام الشباب والشابة ايام عرسها والفقير ايام غناه والمريض ايام تمتعه بالعافية، وعلى هذه فقس ما سواها، كما يقول الشاعر العربي القديم، وذكريات كاتب هذه الكلمات لا تقاس بذكريات اخرى اشرنا الى بعض ملامحها لانها تتصل بصورة مباشرة بتاريخ هذا البلد مجسمة بشخص شاعر عظيم عاش هذه الفترة الدقيقة من الماضي القريب، ورسم ملامحها بشعره الثر ومواقفه الجريئة، وبالاضافة الى ذلك فهذه الذكريات هي جزء حي من تاريخ الفكر العراقي لم يكن الرصافي الا المعبر الصادق اللهجة عن شعور الجماهير العراقية في الاربعينات وتحديها للسلطة وتكريمها لشاعرها، لا تبالي بما يؤدي ذلك الى غضب السلطة التي كانت تنفذ اوامر الاستعمار ضاربة مصالح المواطنين عرض الجدار.

هبط الشاعر الرصافي بغداد بعد فشل حركة مايس الوطنية، ونزل ضيفا عند صديقه المرحوم للشاعر خيري الهنداوي، ثم انتقل الى دار بسيطة على نهر دجلة في الاعظمية، وفي جو مشحون بالكذبة والترقب كان يجتمع مع اخوانه من الادباء والاصدقاء في الدار، او في مقهى تقع على الشارع العام خلف الدار، وبعدة قصيرة صارت المقهى ندوة ادبية في مساء كل يوم يقصدها ابناء بغداد والكاظمية للمداولة في شؤون الادب والفكر تخيم عليها هيبة الشاعر الرصافي ومعلوماته في الشعر واللغة والسياسة والفقه والتاريخ، وكانت احدى مطابع بغداد تطبع له (رسائل التعليقات) يناقش فيها طه حسين وزكي مبارك واحد المستشرقين الطليان، وصاحب هذه الذكريات سجل ما لمحه في الندوة الرصافية في لوحة صغيرة نشرتها جريدة (البلاد) البغدادية على صفحتها الاولى، وبعد نشر المقالة بيومين غشى الندوة فاذا بالشاعر الكبير يعاتبه على النشر ويقسم بالله العظيم لو علم قبل نشرها. لما وافق على النشر، بعد تقديم التشجيع لكاتب ناشئ، وبقي يتردد على مقهى او دار الرصافي، وسمع وسجل ما لم يقرأه بكتاب او صحيفة من تاريخ الفكر العراقي في الاربعينات، والذي لا يغيب عن البال هو صدى صدور كتاب (رسائل التعليقات) للرصافي وتناول بعض الاقلام له بالنقد وبعض المتحدثين في دار اذاعة بغداد وبعض خطباء المنابر، اضطر السلطة حينذاك الى حجز الكتاب في المطبعة حتى تقرره لجنة منتخبة من علماء بغداد فيما اذا كان في الكتاب مس بالدين او العقيدة على ما يزعم هؤلاء! في حين ان بعض النسخ قد تسربت الى القراء واطلع عليها كثير من المثقفين، وظهرت مطالعات العلماء مؤيدة للرصافي في معركته ولم تجد اي مساس بالعقيدة بل بالعكس فيه دفاع عن الدين بخاصة ما كتبه المستشرق الايطالي عن الدين الاسلامي، وقد سر الخبر اخوان الرصافي، وكان سروره اعظم حيث سمعته يقول الحمد لله بوجود هؤلاء المهاجمين لما ورد في الكتاب فقد اخذ يناقش اقوالهم في الصحف واجابهم بالشعر وفي النثر، وسمعته يردد قول شاعر قديم بحرقة والم:

سيبقى بقاء الدهر ما قلته بكم
واما الذي قد قلتموه فريح

وكثيرا ما كان ينزل الى بغداد من الاعظمية لقبض راتبه التقاعدي البسيط، وقد يتردد على مقاهي الميدان او على دار صديقه المرحوم الاستاذ كامل الجادرجي وسمعته كثيرا يلهج بموقف المواطنين المجهولين معه ويقول ما صعدت المصلحة او دخلت مقهى او مطعما الا واسمع كلمة.. واصل..

الرصافي مع اصدقائه في صورة نادرة

واصل.. وانا لا اعلم من الذي دفع الاجور عني؟ وعندما هزت الاريحية المرحوم الشيخ مظهر الشاوي وتبرع له ببزة كاملة ومبلغا من المال وراتبا مدى الحياة "سمعت من جلساء الرصافي انه منح مبالغ من هدية الشاوي الى اصدقائه في المقهى، وكان ينظم الكثير من الشعر ويرسله الى جريدة الاهالي او البلاد او الرأي العام او الى مجلة الرسالة المصرية اذ ناقش فيها ما كتبه الناقد المصري دريني خشبة المتوفي في ١٩٦٥ عن كتابه الرسائل، وهزت الاوساط الادبية مطارحته مع الشاعر الكبير مهدي الجواهري الذي حياه بقصيدة رائعة مطلعها:

تفكرت بالاولى فكنت المغامرا
وفكرت بالاخرى فكنت المجاهرا

وكتب عن القصيدتين بحثا موفقا المرحوم الاستاذ مهدي القزاز ونشره في مجلة الاديب اللبنانية، وكان اكثر المترددين الى مجلس الرصافي المرحوم مصطفى علي والمرحوم كمال نصرت والمرحوم علي الخطيب والاستاذ نعمان ماهر الكنعاني الذي كان له دور في طبع الكتاب وتقديمه الى القراء.

والذي لا انساه بساطة الرجل وهيبته واحتشامه وحرصه على دفع اجور المقهى عمن يقصده من الاصدقاء، وحبه للصمت وترفعه عن القدح او المدح الا لمن تعرض له، واستمراره على التدخين حتى انني لا اتذكر انه استعمل عود ثقاب الا لاول سيكارة، وكان يعير اخوانه كتبه المخطوطة ويشترط تعيين مدة للقراءة لكثرة الراغبين في الاطلاع على مؤلفات الرصافي، واعتاد الشاعر على كتابتها بدفاتر مدرسية بخطه النسخي الجميل، ولم ار هذه كتابا مطبوعا من اثاره المطبوعة في بغداد والقاهرة وبيروت والاستانة في حياته.

والرصافي يحفظ شعره الكثير الغزير، ويذكر مناسبة كل قصيدة، وكثيرا ما يقول اني اعطيتها الى الاستاذ مصطفى. ويعني به المرحوم الاستاذ مصطفى علي الذي حقق رغبة الشاعر في جمع شعره بديوان ضخم جاء في خمسة اجزاء كبيرة وباحسن طبع وبخدمة تامة، وصدر عن وزارة الثقافة والاعلام في العراق بعناية الاستاذ مصطفى علي وباحث أديب.

ولا انسى انه حدثنا من اضطراره للحصول على اجازة بيع السجائر من دائرة انحصار التبغ ومساعي اخوانه في سبيل ذلك، واني شاهدت دكانا صغيرا يقع بين الدار التي كان يسكنها والتي يملكها جمعة العطار وبين المقهى التي يجلس فيها، وشاهدت فيه السجاير وورق السجاير ويجلس فيه معينه على العيش كما يسميه، عبد بن صالح، ولا انسى فرحته في احد الايام، وسمعته يقول: اليوم اكلنا اللحم والتمن واكل الصغار الفواكه من مردود الدكان، والصغار الذين يعنيهم هم اولاد المذكور عبد بن صالح، ولا يخفى على القارئ ان الرصافي تزوج من تركية عندما كان خارج الوطن وانقطعت علاقته الزوجية منها في العشرينات، ولم يعقب ولدا، واغلق الدكان لاسباب لا اعرفها.

كان من المعجبين اشد الاعجاب بشاعرية (المعري) وافكاره والف عنه عدة كتب ونظم عنه قصيدة والقيت على قبر المعري، وهي منشورة في الديوان مع العلم انه نظمها قبل اقامة مهرجان المعري في ١٩٤٣ في دمشق، والرصافي من اعضاء المجمع العلمي العربي الاوائل وله اسهامات في تأسيس مجمع علمي عراقي منذ العشرينات، وسالته اكثر من مرة عن جريدة (الامل) فقال لي اني جعلتها باسمي كرامة لصديقي ابراهيم حلمي العمر (توفي في ١٩٤١) لاجل العيش من ايرادها وهي لم تنطق باسمي ونشرت فيها ما انشره في كل الجرائد البغدادية.

واذكر انه طلب مني كتابة كلمة عن كتابه (اراء ابي العلاء) الذي نفعه الى مجلة المكشوف لطبعه في ١٩٢٩ وعند وقوع الحرب ذهب الى الفلوجة وبقي الكتاب لدى المكشوف في بيروت وقد نشرت كلمة في جريدة (الرأي العام) في ١٩٤ بهذا الشأن وقصدت الشاعر في داره حيث لم اره في المقهى، وشاهدت منظرا لا زال يحز في قلبي ولم يسبق لي نشره في اية صحيفة ار كتاب، اذ جلس شاعر دكة دكان كبير مقابل لمقهى الرصافي لابسا افخر الثياب محلقا بوجهه في حين ان سنه يقارب سن الشاعر الرصافي وعلى رأسه سدارة جديدة تلمع في اشعة الشمس وفي يده كيس يتناول منه (مصقول ابو اللوز) برعونة لا تناسب سنه ومركزه الحكومي، وفي الوقت ذاته دخلت على غرفة الشاعر الرصافي فرأيته في دشداشته الرثة وهو ياكل الشوربة والى جانب الماعون نصف قرصة من الخبز، ولم ازعج الرجل الكبير بل ناولته الجريدة وتركت الدار، وبقيت اقارن واقابل بين الشاعرين وفي الاطار الذي حاولت رسم الصورتين المتناقضتين فيه وعلى بعد امتار بين الدكان والدار.

وما جلست مرة في المقهى ومر سائل او فقير الا وناوله ما في جيبه بطيبة خاطر، واتذكر ابتسامته الحلوة عندما رأيته يقوم من كرسيه الى امرأة تستعطي وناولها عملة نقدية فذكرت قوله من قصيدة له: "اشارك الناس طرا في بلاياها". وتجاوز حبه للمساعدة وسعيه الى اسعاف الحيوان بانسانية رائعة لا توجد عند غيره من الناس، ولا انسى كلبا ربض تحت كرسيه ولم يشاهده الحضور عند دخوله المقهى، فاذا بالشاعر يداعب الحيوان، والكلب يهز ذيله، فنادى على صاحب المقهى بجلب قطعة من الخبز للكلب الجائع فلم يعثر عليها، فارسل الى داره لهذا الغرض ومن الصدف عدم وجود ما طلبه الشاعر، مما اضطره الى التماس احد للتطواف في اسواق الاعظمية لاجل قطعة خبز يطعم بها الجائع!

عن كتاب الرصافي عام 1959

من اوراق الراحل خالص عزمي

شاعر الشعب.. الملا عبود الكرخي

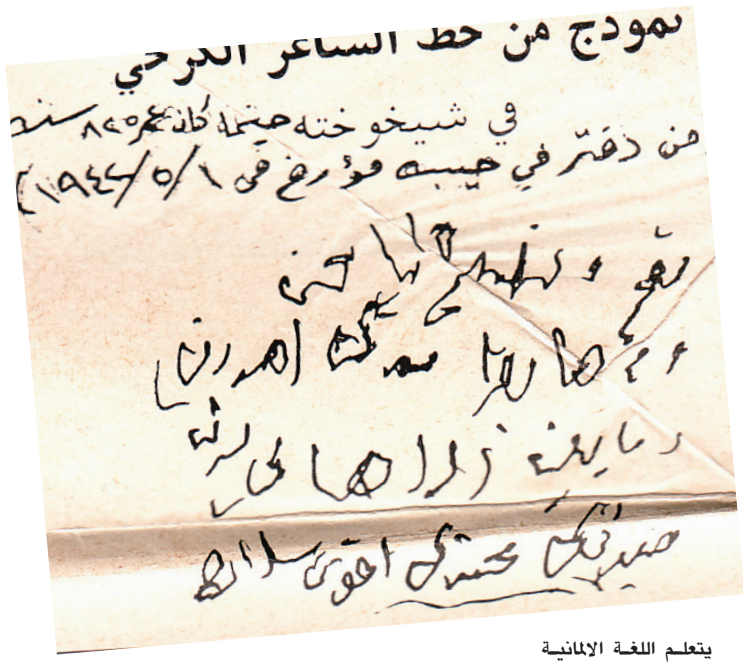

لم يكن يعرف الحاج سهيل، ان ابنه عبود يكون شاعراً بارزاً من شعراء العراق بل شخصية بغدادية فريدة في تاريخ هذه المدينة العريقة، على ان الحاج سهيل، كان يعرف الى جانب ذلك ان ابنه عبود من يحفظ ايات القرآن الكريم بيسر وسهولة، وكان يقرأ ما تقع عليه عيناه من اوردة وكتب دينية وسير مكتوبة ببساطة متناهية إلا ان اهم ما كان يشغل بال هذا الطفل ما كان يسمعه في المقاهي من قصص تمثيلية ونوادر وفكاهات، حتى اذا ما بلغ الثانية عشرة من عمره ولع ولعاً كبيراً في الاحاديث الدينية والخطب التي كان يرتجلها خطباء المساجد ايام الجمعة عادة..

وتفتقت ذهنية عبود عن خطة ذاتية خاصة، هي ان الحياة واسعة في المعرفة مترامية الاطراف في الافكار لا تجدها حلقة دراسة، ولا تقف الكتاتيب دون موضوعيتها وشمولها، وحتى اذا ما بلغ الخامسة عشرة من عمره ترك الدراسة النظامية وانطلق مع ابيه يعاونه في تجارة الابل والجلود يتنقل من بادية الى بادية ومن مدينة الى مدينة، ومن مدينة الى مدينة.

شهر احدى عشر تقطن من البدوان وشهر واحد ايصادق نحن في البلدان

نبيع بسورية وبمصر وبايران وعلى (بلخ وبخاره وللرضا مشهد) هناك ادرست طبعا حالة الشيخان (سلكه صكور واعمارات الفوعان) و(مناصير وبني هاجر مع الدرعان) و(شعر واعنزه) اسلاف ابن مزيد

قضي الكرخي عبود من عمره عشرين عاما وهو يذرع الصحارى والبوادي والقفار والقرى والارياف والمدن، حتى بلغ من العمر خمسة وثلاثين عاما حينما توفي والده ليتركه، صلب العود، قوي الشكيمة، دراسا لاسرار الحياة، مستفيداً من تجاربها.

اما من الناحية الشعرية فقد استفاد عبود كثيرا من تلك الاسفار المتعبة، استفاد من لغة ابناء المناطق التي كان يمر بها او يحل فيها بعض الوقت، استفاد من العادات والتقاليد التي كان عليها ابناء تلك البلاد، واستفاد من منتدياتها واسواقها ومقاهيها و(دواوينها).. فاصبح موسوعة متنقلة بكل تلك الاحوال وقاموسا ضخما بمفردات اللغات الدارجة التي تتناقلها افواه الناس البسطاء.

غير ان الذي نشط من كل تلك الحصيلة وفجر فيها ينبوع التدفق الشعري وحرك في نفس الملا عبود من الكوامن ما حرك، كان حينما انسلبت ثروته وظل سنتين عاطلا عن العمل، ففي خلال تلكما السنتين انصرف ذهن الكرخي الى الشعر التأملي، الشعر المطبوع الملتحم مع التجربة وقساوة الحياة، ومع ما في تلك الحياة من وفاء وضر، وحقد، ومروءة وتسامح، وكبرياء وتحد.. الخ.

ولم يلبث الكرخي وهو يصارع من اجل كيانه ومسيرته الا ان يقف على قدميه مجددا ليجعل من خبرته الواسعة في السفر والتطواف مجالا للرزق الحلال فاسس مع (بيت عارف اغا) شركة للنقل (المتطور) اذ جعل من العربات التي تجرها الخيول واسطات للنقل بدلا من (الكروان) و(التخت روان) و(الكجاوة) و(الحمل) و(الهودج)... ولكن هذا العمل الواسع ثم يقف الكرخي عنده مستريحا مسترخيا بل تعداه الى اعمال اخرى، فقد اصبح مجهزا لارزاق البعثة الهندسية الالمانية بحيث استطاع ان يتعلم اللغة الالمانية اضافة الى اللغات واللهجات التي كان يجيدها وهي التركية والفارسية والكردية وشيئا من الانجليزية وهذه اللغات قد شجعته على القيام بمهمة الترجمة للحملة العسكرية التركية بالاضافة الى قيامه بتجهيزها بالمواد الغذائية وابتياع الاسلحة لها، الا ان هذه الحياة (المطمئنة) لم تستمر، فقد وقع الكرخي اسيرا لدى الروس، ثم يفر من الاسر ويبقى متنقلا بين حدود ايران وافغانستان وروسيا، وحينما وضعت الحرب العالمية اوزارها عاد الى العراق ليجده يزرع تحت الاحتلال البريطاني فهجر بغداد جراء ما لاقاه من مضايقات المستعمر المستمرة، واسس مزرعتين في المحمودية (شطيطان والسليمية) وقد تمكن الملا عبود ان يجعل منهما مزرعتين فريدتين من ناحيتي المزروعات والتنظيم، الا ان الانجليز الذين رأوا في مواقف الكرخي الوطنية ازاء ثورة العشرين الرائعة من نصرة ومؤازرة واندفاع، تحديا سافرا لهم، لقد حرضوا عليه مهندس الري (بابا جوش) والحارس المقيم عن مزرعته الذي كان يطلق عليه (سنتري) لكي يصبح من المتعذر عني الكرخي الاستمرار في الزراعة هناك.

وبهذا يقول:

شبه البياه وبربري
حطوا عني السنتري

×××

حطوا عني توبجي
فجان ما يفهم حجي
احمق ملعب سختجي
امعفص اميدغ فمعري

×××

فمعري وحاوي من الجذب
مغرور يشتمني ويسب
ينبح مثل نبح الجلب
ارعن طويل وسوطري

××

ويترك الكرخي الزراعة ويلجأ نحو الصحافة بعد ان وجد لشعره صدى واسعا في الاوساط الشعبية والمثقفة على السواء: ويصدر جريدة الكرخ، وفي هذه الجريدة ينشر الكرخي قصائده العديدة التي كان ينشرها قبل ذاك في صحف الاستقلال والمفيد والامل والرافدان والبدائع والحقائق والهزل واليقين: الا ان الكرخي قد اعتمد قبل ان يقوم بنشر قصائده عن طريق الصحف على راوية يطوف المجالس والمقاهي يردد اشعاره وهو سيد فاضل عباس من محلة الفحامة في الكرخ.

وفي الصحافة يلاقي الكرخي الامرين، فبين يوم واخر تغلق الجريدة، وبين يوم واخر يقدم احد المدراء المسؤولين استقالة بحيث تتعطل الجريدة عن الصدور فيلجأ الى صحف الغير تارة يحور في اسمها ويهمل من طريقة اخراجها لكي يتفادى ذلك المشكل، وكان في كل مرة يتغلب على تلك الصعوبات بجلد عجيب لا يعرف الكل او الملل.

احمد الباري انا في
عالم الدنيا صحفي

×××

اخاف متعيش الجريدة واوكع بشدة شديدة
يصير راسي بالمصيدة وانثبت احمق خرافي

××

او كفولة:

فكرتي فكرة وحيدة
الشر قطعا ما اريده
ودليل عندي بالجريدة
شلون صار الها رواح

×××

وبقصيدته الصحافة والنواب والاعيان يقول:

شايل على راسي منارة للجميع
وقزان الحاج يكفن وهو جارع
عن الوطن تحجي الصدك وتدافع
تنظر واذا زعلوا جماعتنه

×××

اذا احجي بصراحة وصدك اتكلم
كالوا كتب هذا صرف شتم وذم
من الكرخ الجريدة جرعت كاس السم
وانجوم الضحى المشؤمة راوتنة

×××

وحين يستقبل المدير المسؤول للجريدة السيد قطبي يقول حائراً متالما:

اه اوف شلون ربي
هم رجع يستعفي (قطبي)
استعفة قطب الدين مني
مدعبل ويشبه الجني
بيه ايضا خاب ظني
نبهت يا ناس دربي

×××

يكوناعضه من وريده
الكلي صدر لك جريدة
لان راسي بالمصيدة
اصبح ومشلوع كلبي

لقد كتب الكرخ في جميع الوان الشعر، وقد ساعده على ذلك تفهمه لطبيعة المجتمع وتفقهه في عاداته وتقاليده ومعرفته بمقردات لغته، حتى كان اذا ما نظم قصيدة في الزراعة مثلا ادخل فيها التعبيات والكلمات التي ترد على افواه الزراع.

واذا ما كتب قصيدة اخرى في حياة البدو ضمنها جميع كلماتهم وتعابيرهم وطريقة نطقهم لتلك الكلمات ، واذا كتب في السياسة طرح شعات الساسة واجزاء من خطبهم وتصريحاتهم: بل اكثر من ذلك فهو اذا ما اورد كلاما على لسان رجل هندي او فارسي او تركي او الماني، ادخل ما يرتايه من اقوال ذلك الرجل بلغته الفارسية او الهندية او الالمانية، وهذه الموهبة او الموسوعة في حفظ الالفاظ وترديها في مكانها الطبيعي، جائته كما قلنا من كثرة الاسفار واختلاطه بالعديد من ابناء الشعوب الاخرى، ولهذا فقد اكدت بعد ان اكد الكرخي نفسه ان ملحمته الرائعة المجرشة لا يمكن ان تكون لغيره اطلاقا ففيها من اسماء البلدان والاشخاص والعادات والتقاليد مما لم يتح لغير الكرخي معرفته منها في ذلك العهد الذي لم يسبق لشاعر شعبي مثله ان تعرف عليها.

وقصيدة المجرشة للحقيقة والتاريخ، كتبها الكرخي في العشرينات ونشرها في كراس عام ١٩٢٤ ثم نشرها في جريدة الكرخ، وبعدها صورت ترجمتها في صحيفة شفق سرخ الايرانية، على ان المطلع وهو ثلاثة ابيات كانت لغيره طرقت سمعه فانشا قصيدته المشهورة عليها، وازادها بعدئذ في الثلاثينيات – باربعين مقطع من الشعر.

لقد اورد الكرخي في هذه القصيدة المهمة ٤٧ دولة ومدينة من صنعاء حتى النمسا والمجر تدليلا على معرفته بتلك البلدان.

ساعة واكسر المجرشة
واكصد ابو الحملة علي
واطلب امرادي وانتحب
بلجي هممومي تنجلي
تارة البكلبي اسعرت
يهل المروة وتصطللي
ما شفت واحد ينتخي
من اهل الحم يطفيها

×××

ساعة واكسر المجرشة
والعن ابو راعي الجرش
كعدت يا دادة ام البخت
خلخالها بدوي ويدش
واني استادي لو زعل
يمعش شعر راسي معش
هم هاي دنية وتنكضي
واحساب اكو تاليها
واهم ما يميز الكرخي، اضافة الى موسوعيته

التي اشرنا اليها، دقة ملاحظته وقابليته الخارقة على الاستعابات التصويري للاحداث والحوادث وتحويلها الى لوحات (فوتغرافية) سريعة ومتلاحقة، بل لعل ابرز ما يميزه ايضا مقدرته الفذة على (الخزن الذهني) اذا صح التعبير بمعنى ان ما يراه او يسمعه او يلتقطه من شوارد ونكات وصيحات الباعة ونوادر المجالس، وحكايات العجائز، وقصص التاريخ تبقى مخزونة في (عقله الباطن) يستخرج من كنوزها متى ما ارد بمشيئه او متى ما خرجت هي دون مشيئته، وهذه الميزة البارزة لا تجدها لا عند القلة من ارباب الفكر والفن والادب.

وليس ادل على ذلك من قصيدته الملحمية الرائعة المشهورة (الكونية) (التي نظمها عام ١٩٢٥ وهي تقع في الف بيت من الشعر)، والتي يتحدث فيها الكرخي عن اغلب اصحاب الصنائع وارباب العمل من مختلف الصنوف، كفوئة مثلاً:

أهل السلع سامعهم من ايناغون
وعادتهم وحتى الناس يشتاقون
ابيض يجوي ايدك حار باصمون
وبياع الحلاوة الشكرية (وبال)
(البال: هو اسم تركي لنوع من الحلوى).
بال وشكريه عال، خوش عيار
ويرد يمعط (ايد ما عذبتها النار)
ويصرخ (لوبية ياحلبلاب اخبار
حلو بار (قسم اعظم يهل منوال
وابو الركي يصيح: احمر حلو يزبيب
واللي يندب المولى ابد ميخيب
كمن عنده بالتغطة فرد ترتب
حتى حرمة المعدان (يوه انخال)
او كقوله:
ونرجع على العماله ولهم معمار
"الخلفة" من يصيحة ايشغل (للمرار)
عفية ابني تلوذ بحيدر الكرار
احفر ياوليدي انت ابن حلال

×××

شكت ناوش واجبن الجص بساع
والشاهول كل منه كدر نص باع
وهسر بوره واخبطها رماد بساع

الملا عبود الكرخي

وباجير والمصطبة تلتقي عمال..

وكما غير الكرخي (زية) عام ١٩٣٦ من (زبون وبتيه وعباية وعكال مكنكر) الى ملابس حديثة مع (سدارة) تعلو راسه، فقد طغت على شعره في تلك الفترة وما بعدها التعابير الفصيحة، او لغة (الجرائد) كما يقال ولعله كان يريد ان يثبت بانه وقد اتخذ من الصحافة مهنة كل تلك المدة فكان لابد عليه ان يدخل على لغتة الثرية شيئا من التحسين.

كما في قصيدته (عودة الزهاوي الى الوطن) مثلا:

بلبلبنا العراقي قبل هذا طار
غرد في (مصر)، رد رجع للموكار

×××

في (بيروت) غرد وب (مصر والشام)
ومن عنده علم اخذوا الخاص وعام
قدم عنده قوي يغني عن الصمصام
شبه العلم وبراسه اشب النار

×××

شعرك شجره وظلل على الاوطان
والباقين بالنسبة لكم اغصان
عالم فيلسوف وظهر بالميدان
اسمك واشتهر بالملك والاقطار

×××

ذكاء وعلم وحلم وفلسفة وضاح
(كمشكاة كان في ضمنها مصباح)
الشعر انقف خمس اقرون والمفتاح
انت صرت له وافتحت هل انبار

×××

ولم يقتصر شعر الكرخي على الاجتماعات والسياسة والوصفيات .. بل تعداه الى جميع الوان الشعر من النقد والمداعبة والوطنية والرثاء والغزل والنسيب (وبالمكشوف منه ايضا) والحجاب والسفور والنقد والتصوير للعادات والتقاليد، وقد استطاع الكرخي – بمقدرة خاصة – ان يستخدم بعض قصائده في النيل من كل من يقف حجر عثرة دونه في مختلف المناسبات وكان يستعمل من الالفاظ ما يستطيع معها تحطيم من يتصدى له! وبهذا اللون من النقد المقذع دخل الكرخي معارك قليمة كثرا جرته في مرات عدة الى سوح المحاكم، وكان له من اصدقائه الكثر من رجال القضاء والمحاماة ما يشفع له في رد الخطر عنه.

ولا يفوتنا في هذه اللمحة العجلى منان نذكر بان كثيرا من الاغاني التي رددها الجيل الماضي ومازال الجيل الحاضر يرددها بين الحين والاخر كانت من نظم هذا الشاعر الفذ الغريد الملا عبود الكرخي كقصيدة...

(يا ولد يابو السدارة والحبيب الهاجر..
وشنهو السبب تنسوني.. الخ)..

وليس اجدر من ان نذكر في ختام هذا المقال من بعض الابيات التي يصف فيها الكرخي شعره:

شعر ان نسمع رقيق وزجلي
سهل ايضا ممتنع هذا الي
هالطرز معروف فني وعملي
وغيري من نظم الزجل ما يفتهم

×××

اسفا مشؤومة خصلة في الفقير
بالمدح ما انظم الساني قصير
في الهجو اعلى وابلى من (جرير)
من نشأت ادرست بالنقد وسنم

×××

انا مبغض الى الممسك واللئيم
وكلبي يالف للشجاع ولتكريم
وللابى الحر صاحب الطبع السليم
الوطني الصادق الحساس الشهم

×××

لان في نحت القوافي مبتكر
نابغة بشعر الزجل في هالعصر
انا بالمرصاد واكف بالشعر
من الذي خانوا وطنهم انتقم

×××

كم وكم لي بالنظم من معجزات
شاع بالبلدان وايعجز الرواة
بالنحو والصرف ما افهم بنات
فط في حال البشر عندي علم

يوميات صادق الأزدي

يهود في صحافة العراق

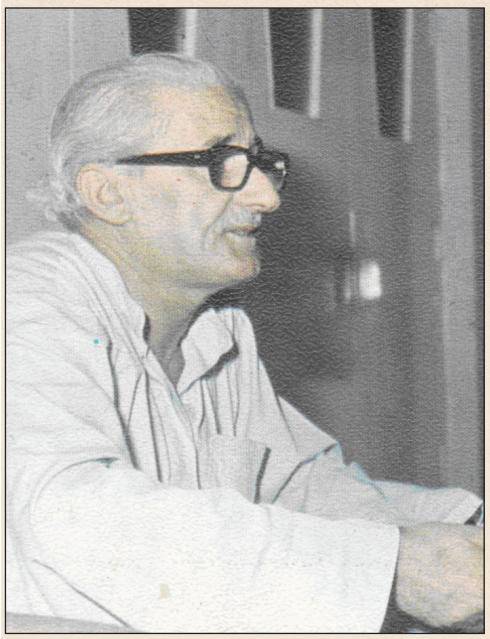

كان اول يهودي من العاملين في الصحافة قد تعرفت عليه يدعى سليم، وكان ذلك في جامع "العاقولية" حيث تقع ادارة جريدة "الشرق" التي اصدرها عبد الباقي العاني، بعد ان تعطلت جريدة "الناشئة" التي كانت لسان حال جمعيته الناشئة الاسلامية التي ترأسها عبد الباقي العاني، الرجل الطيب القلب.

× اسلم الي حين!

× وكان "سليم" الذي نسيت اسم والده، يقيم في جامع العاقولية، وقد قال لي عبد الباقي العاني، انه قد اسلم، وظللت اراه طوال سنة ١٩٣٩ عندما ازور بغداد قادما من لواء الحلة – محافظة – حيث كنت اعلم الصبية في احدى القرى. ولما تركت التعليم لاعمل في الصحافة، سمعت بعد قيام الحرب الفلسطينية ان ذلك "السليم" قد سافر الى فلسطين!

× منشي زعرور..

× وبعد ان عملت في "الاخبار" سنة ١٩٤١ تعرفت على يهودي كان يقوم بتحرير جريدة "العراق" واسمه "منشي زعرور" وعلمت فما بعد ان احد اخوته كان يتاجر بالماس والآخر عازف على القانون والثالث صاحب ملهى في بغداد!!

وقد جاءني منشي زعرور ذات يوم في سنة ١٩٥١، وقال لي: انا احرر الان جريدة "الحوادث" واريد السفر الى تركيا للراحة، ولكن صاحب تلك الجريدة لا يسمح لي بالسفر الا اذا قمت بتكليف صحفي يطئمن هو اليه ليعمل خلال غيبتي عن العراق، وقد عرضت عليه اسماء بعض الصحفيين فرفضهم، ولما ذكرت له اسمك وافق! وراح يلح علي، فوافقت لان مجلتي كانت لا تصدر الا لتتوقف، ثم تستأنف الصدور، اما بسبب ابدال المدير المسؤول بغيره، او لاختلافي مع مدير الادارة، او لان اموري المالية المرتبكة، قد تأزمت!

وهكذا وافقت على ان اعمل في جريدة "الحوادث" وفوجئت عندما صدر العدد الجديد منها، ان صاحبها قد نشر اسمي في "الترويسة" على انني رئيس تحريرها، كما كتب في المحليات مشيراً الى ذلك، وهكذا عملت في الحوادث حوالي السنة، اما منشي زعرور فقد سافر الى تركيا ومعه زوجته، ومن هناك سافرا الى فلسطين التي سبقهما اليها وحيدهما "ابراهيم".

× يهود العراق والصحافة

× ولعله من المناسب ان اتحدث قليلا عن دور يهود العراق قبل سنة ١٩٤٨ في الصحافة العراقية.

فالمعروف ان اول يهودي اصدر جريدة في العراق هو "حسقيل مناحيم" وكان اسم جريدته هو "مابين النهرين" وقد صدر عددها الاول يوم ٦ كانون الاول ١٩٠٩، وتوقفت عن الصدور بعد ثلاث سنوات من ذلك التاريخ.

وصدرت بعد الاحتلال البريطاني للعراق، مجلة باسم "يشرون" ومعناها (اسرائيل)، وقد صدرت في بغداد ١٩ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠ واختفت بعد صدور بضعة اعداد منها، علماً بانها صدرت باللغتين العربية والعبرية.

وبعدها صدرت مجلة "المصباح" في اليوم العاشر من نيسان ١٩٢٤٥، وكان صاحبها هو المحامي سلمان شينة اما محررها فهو انور شاؤول، وكانت تعني باخبار "يهود الدنيا" فهي صهيونية، وكان اسمها يكتب بالعربية والعبرية وقد كتب على صورة للشمعدان "الاسرائيل" يؤطرها كلها جدار يرمزون به الى "هيكل سليمان" واستمرت تصدر حتى سنة ١٩٢٨. وبعدها بسنة واحدة اصدر انور شاؤول محرر المصباح مجلته "الحاصد" في يوم ١٤ شباط ١٩٢٩، واستمرت ثلاث سنوات تقريباً.

× وقد تعرفت خلال حياتي الصحفية على عدد غير قليل من ناظمي الشعر اليهود ومن العاملين في الصحافة، اذكر منهم بالاضافة الى منشي زعرور الشعراء انور شاؤول ومير بصري وابراهيم غوبيديا، وكل من الصحفيين، نعيم طويق وسليم بصون ومراد العمادي ويعقوب بلبول واسحق قرعين ومعظمهم لم يغادروا العراق الا بعد سنوات من قيام الكيان الصهيوني في فلسطين، لايعني ذلك ابراء ذممهم من التعلق بالصهيونية.

× عادل عوني..

× وكان عادل عوني صاحب جريدة "الحوادث" قد جاء الى بغداد من الموصل وعمل في بعض جرائدها، واصدر عدة صحف ثم اصدر الحوادث بعد انتهاء الحرب العراقية – البريطانية سنة ١٩٤١. واستمرت تصدر حتى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.

وقد تختلف في اعطاء الحكم عليه، إلا ان ما يجب عدم الاختلاف عليه هو انه كان ابن ظروفه، كل حسناته وسيئاته ونزواته وبدواته هي بنات تلك الظروف التي مر بها العراق منذ الحرب العالمية الاولى حتى ثورة تموز ١٩٥٨.

وقد عملت مع عادل عوني وانا على خلاف معه في معظم ارائه. الا انني احببته كانسان، واليكم الحكاية التالية:

قال لي عادل، وانا اعمل في جريدته، ان فلاناً قد دعاه ودعاني الى حفلة تقام بعد يومين، فاعتذرت وقلت له اننا في فصل الخريف وقد بعثت بملابس الشتاء الى المكوى، اما ملابسي الصيفية فكلها غير صالحة لان احضر باي منها تلك الحظة، فاعتذر لي من صاحبها.. وسكتنا!!

وفي اليوم الثاني دعاني لتناول طعام الغداء وذهبت معه، وعندما وصلت بنا السيارة التي تقلنا الى محل "حسو اخوان" في الباب الشرقي، اوقف السيارة وقال لي انه يريد شراء بعض الضروريات، ودعاني الى تك السيارة وارتياد المخزن معه، ففعلت وقادني الى القسم المخصص لبيع الملابس الجاهزة واجبرني على اقتناء بدلة، ودفع ثمنها وكل ذلك لكي احضر معه الحفلة التي دعينا اليها!.

مجلة الحضارة العدد 3 عام 1989

مقاهي الموصل ايام زمان

معن عبد القادر آل زكريا
كاتب ومؤرخ موصلي

لا نجادل في حقيقة إذا قلنا أن المقهى أو الشاي خانه (توجد فروق كثيرة بين المصطلحين) ما هما سوى مكانين وجدا أصلاً للاجتماع أو اللقاء ، ثم للتجارة فالاستراحة . وإذا كان للذاكرة أن تسعفنا بإسناد الرواة ، آباء أو أعمام أو أخوال أو ختيارية أو تبع ما وصلنا عبر توثيق مدوّن أو مصور ، فإن الأمر في كل الأحوال يضطرنا أن نضع لتاريخ المقهى (في الموصل في الأقل) زماناً لا يرجع بالقدم إلى أبعد من عقدين لما قبل سنة ١٩٠٠، أو إلى فاتحة القرن العشرين المنصرم على أبعد احتمال .

ومن باب التذكير فإن اسم (القهوة) المصطلح ، الذي تداولته العامّة وطغى على اسم (المقهى) يدل على أكثر من معنى . فهو مرّة يعني المادة المنبهة ذات النكهة المعروفة برائحتها وبمذاقها ، ومرّة أخرى يعنى المكان الذي يرتاده الزبائن لقضاء الوقت أو لممارسة تجارة أو لقضاء أعمال حسب مواعيد ، أو لاحتساء القهوة ... ثم عُمّم الاستعمال للدلالة على مكان شرب الشاي مع القهوة أو بدونها . أما بالنسبة للكازينو فقد غلب عليها طابع العصرنة ... ثم ترادفت مع شرب السوائل والبارد والمثلجات .

وتكافئ مدينة الموصل المدن العراقية الأخرى (ومنها على نحو خاص بغداد العاصمة) التي انتشرت في أسواقها وبين محلاتها التجارية عادة إنشاء المقاهي ، لا بل أن بعض مقاهيها قد ذهبت شهرته مذهب الأمثال في الأغاني وفي البستات ومنها (كهوة عزاوي) التي يقال حسبِ ما ذكره الرواة أن المدلل كان فيها زعلانٌ ، فضلاً عن الشهرة التي اكتسبها (إبراهيم عرب) في مقهاه وكان يدير من خلال المقهى العنتريات والسواليف الشهيرة حتى عُرف عنه بأنه من أكثر (الزمّاطين) في العراق . وهذا النوع من المقاهي المنزرع في المحلات القديمة وبين الدور ، يسمى عند أهل الموصل بـ (قهوة المحلّي) ، وتدعى في بغداد (كهوة الطرف) وهما تعبيران لمدلول واحد . إلا أن الموصل افترقت عن تلكم في كثرة عدد المقاهي نسبة إلى عدد السكان من جهة ، وفي التقسيم الطبقي لرواد المقاهي وتصنيفاتهم المهنية من جهة أخرى. وذلك في نظرنا له مدلول واحد ، كون الظاهرة إيّاها تدل في شكلها العام على التوسع في أعداد الشرائح العمرية التي تقع فوق سن الأربعين ، وهذا يتأتى من إيجابية الحالة الاقتصادية والاجتماعية . أما في شكل الظاهرة الخاص ، فهي تنبئ عن توسع طبقة التجار والحرفيين والعاملين في مهنة التوسط وفي البيع والشراء والزراعة ... ونحن الباحث لا يعجبنا مذهب الذين يقولون أن كثرة المقاهي مؤشر على كثرة أعداد العاطلين عن العمل في الزمن الذي خصّصناه بذكر أسماء المقاهي ومواقعها . وحتى لو آمنا بتلك النظرة - على نحو جزئي - فإن البطالة كانت وما تزال ظاهرة اقتصّادية واجتماعية عامة تخص كل مدن القطر العراقي وريفه ، وليست قصراً على مكان محدد بعينه .

× × ×

وندرج فيما يأتي أهم المقاهي التي عثرنا على واقعها في مدينة الموصل وبغض النظر عن تاريخ إنشائها الذي لم نعطه أهمية تذكر ، كون تاريخ الإنشاء يوقعنا في ارتباك نروم تجنبه .

وأهم هذه المقاهي هي :

مقهى عبد هبراية – تقع على شارع نينوى وفي المكان الذي تقع فيه اليوم مقهى الشرق وقبل هدم العمارة وإعادة بنائها .

مقهى محمود هبراية – تقع على شارع نينوى من طرفه الأيمن ، ذهاباً من باب الجسر إلى رأس الجادة ، ولها باب تطل على زقاق ضيق يؤدي إلى محلة عمو البقال ويرتادها في الغالب صنف المعلمين ، وغالباً ما تُسمع فيها اسطوانات الغناء القديمة ، ومنها أرق أغاني أم كلثوم .

مقهى الشرق - لصاحبيه الأخوين صالح وجاسم أولاد شريف ، طابق علوي تقع حالياً على شارع نينوى ، وكان أولاد شريف قبل ذلك يمتلكان مقهى تقع في محلة الشيخ أبو العلا خلف البريد القديم عند انتهاء شارع النجفي نزولاً من طرفه الجنوبي .

مقهى ابن عبو أقديح – وتقع في الزاوية الركنية ما بين شارع النجفي من طرفه العلوي وشارع نينوى ، وكان الطابق العلوي من البناية يحتضن مديرية معارف الموصل . وقد اشتهر ابن عبو أقديح بامتلاكه أكبر رصيد من قاونات مسجلة باسم سيد احمد بن سيد عبد القادر الموصلي المعروف بـ(ابن الكفغ) .

مقهى البلدية - لصاحبه محمد بن داوود آل كشمولة – مطلة على نهر دجلة ومن طرف جسر نينوى وملاصقة لمديرية بلدية الموصل القديمة ، وتمثل في موقعها مكاناً رائعاً مطلاً على نهر دجلة وعلى حديقة الساحل الأيسر .

مقهى حيو الأحدب – تقع على شارع غازي ولها باب تطل على شارع ضيق يؤدي إلى جريدة فتى العراق وإلى دكاكين الصياغ (الصاغة) مجمع صنف باعة الذهب ، وتقع مقابلها محلات يونس الحاج طه تاج الطباخات والبريمزات ، وبالقرب منها في الفرع تقع مكاتب جريدة فتى العراق .

مقهى الثوب - وتطل على نهر دجلة ويرتادها تجار الصوف والجلود والمصران وكبار صنف القصابين وبعض ملاك الأطيان والجلبية .

مقهى مصطفى الأعرج – مطلة على ساحة البلدية وفي موقع النزلة المؤدية إلى جسر نينوى .

مقهى الاخوان - لصاحبيه أبو سامي وأخيه وتقع على شارع غازي ، وبعد أن هدمت حلت محلها العمارة التي صارت من ضمنها محلات " باتا " وصيدلية وزقاق فرعي يؤدي إلى سوق الصياغ (مجمع صنف باعة الذهب).

مقهى كامل - وتقع في طابق علوي في الفسحة العريضة من باب السراي فوق مخزن الجمال لصاحبه يوسف بجّو (سابقاً) ومن ثم محلات شمس الدين (لاحقاً) وكانت تقلب إلى مسرح عصراً وتياترو في الليل على وفق ما رواه أرافق والدي في فاتحة الخمسينات وفي العطل الصيفية ، وكنتُ قد رأيت تقسيمات الألواح المخصصة لأغراض الفرجة ... فلما سألتُ عنها ... قيل لي ما هي ...!

مقهى يحيى وابنه رشاد – (صيفي وشتوي) وكانت في نهاية الأربعينات تقع في منطقة التقاء شارعي حلب والعدالة قبالة سينما هوليوود (سينما سميراميس لاحقاً) ، ثم انتقلت في الستينات وإلى نهاية الثمانينات إلى شرق المكان وفي أرض تقابل مديرية المتحف ويقع في أرضها اليوم (سابقاً) مطعم تيسير ثم شركة نقليات (سابقاً) . وكانت تضم في الغالب صنف البنائين والمقاولين ومتعهدي النقر والحلان وجمهرة والمعلمين .

مقهى ام الربيعين ، والشهيرة بمقهي أبو داهي ، الواقعة في طابق علوي قرب موقع سيارات في شارع نينوى (محلات ابن حديد سابقاً) وقبالة جامع الباشا ، ويعمل فيها

القهوه جي المشهور (الملا) وهو شقيق القهوه جي المعروف إبراهيم ابو فاروق ، والمشهور (إبراهيم ابو دشداشة) .

مقهى طاهرو – تقع على شارع حلب قبالة سينما هوليوود – سينما سميراميس اليوم ، ثم فتح طاهرو كازينو أخرى بأسمه على شارع المطار في نهاية الدواسة ، ومقابل باجة أبو مزاحم ... لاحظ تشابه الأسماء (ابو مزاحم الباجه جي ...!!) .

مقهى أحمد باري – طابق علوي تقع في محل يقوم مكانه اليوم جزء من شارع الكورنيش مقابل الثانوية الشرقية . ثم افتتح احمد باري كازينو صيفي على طريق شارع المطار .

مقهى عباس - قبالة مركز العام . يرتادها الشرطة والمتقاعدين ومن العيون المساعدين (الشرطة السريين) والمخبرين وعناصر التحريات الجنائية والتحقيقات الخاصة .

مقهى ابن العناز- وتقع قبالة مركز العام في طابق العمارة العلوي الذي تقع تحته محلات حازم عفاص وعبد القادر الارحيم وعزيز فتحي تاجر الدراجات والتوتونجي زكي كرجية وبائعو الجرزات أولاد مراد . وباب المقهى يقع من طرف جانبي يطل على سوق علوة الحنطة التي لها باب آخر يؤدي إلى شركة الأنكرلي وماكنة طحين الحاج عبد وكراج القيارة . ومن هذا الباب الثاني لعلوة الحنطة نروح ذهاباً إلى كراج حمام العليل وباب لكش . ويقوم مكانها اليوم جزء من سوق القصابين الواقع إلى طرف الشمال شرق من بناية المحافظة. ويتفرع من جانب الباب الواقع قبالة مركز العام طريق فرعي يؤدي إلى محلات سعيد حديد والمحامي عمر النوح ومن ثم يؤدي إلى موقع عمل كتّاب العرائض المرتصفين في هذا المكان انتهاءً بالبريد القديم وخلفه يقع فرن متي أبو حازم المخصص لشوي البقلاوة وعمل القوازي ، ورؤوس الأغنام المشوية والموضوعة على صينية معدن مستطيلة الشكل ، ويضع في فم كل رأس حبة من الطماطم الحمراء (الأفرنجي) .

مقهى يحيى الكشمولة – وتقع في طلعة الجسر القديم من طرفه الأيسر صعوداً إلى شارع نينوى.

مقهى فاضل - في ركن دورة الساعة تحت جامع الصفار .

مقهى محمد ججو – تقع بجانب ستوديو روكسي وستوديو بغداد وقبالة الثانوية الشرقية. وكان يرتاده شباب الطليعة العربية من القوميين وسواهم .

مقهى المستشفى – تقع قرب دورة المستشفى ومجاورة لبقالة محمود قنديل .

مقهى طه أمين – مقهى صيفي وتقع في منطقة النبي يونس .

مقهى أبو زكي – في الدواسة ، ويرتاده بعض الشباب المثقف من أهل اليسار ، فضلاً عن المخبرين السريين – ويا لغرابة التوافق .

مقهى السويدية – في باب الجبلين ما بين تقاطعات أزقة باب النبي من جانبها العلوي وأزقة محلة الجامع الكبير ومحلة المكاوي ، وصاحبها يدعى إبراهيم باتري ، واشتغل فيها مساعداً له في بعض الأزمنة عزيز الأعور بائع الدوندرمة صيفاً والمستوى (الشلغم) شتاءً ، فضلاً عن كونه السباح المعروف الذي يقفز طيارة من شاهد قره سراي إلى نهر دجلة بين تصفيق الشباب وتهليلاتهم ، ثم هو راميا (للجطل) من الدرجة الأولى . وهو شقيق يحيى (حياوي) الماهر في ركوب الموتور سايكلات من دورة المستشفى إلى بداية موقع معسكر الغزلاني وهو واقف على مقعد الجلوس بطول قامته . وكانت تقرأ في هذه المقهى العنترية في عقود سالفة ، وهي صيفي وشتوي .

مقهى صنف البنائين في الساعة – مقابل كنيسة الساعة ، وبعد أن أزيلت حلّت محلها عمارة من ضمن أبنيتها محلات " باتا " والتي أزيلت هي الأخرى .

مقهى سوق الصغير – ونصل إليها من شارع النجفي خلال الزقاق الذي يقودنا من محل زهير محمد صالح الخطاط انتهاءً بقرب جامع خنجر خشب . كانت تقرأ فيها العنترية ثم تحولت إلى معمل لصنع حقائب الملابس الحديدية الكبيرة والحقائب المدرسية الصغيرة لصاحبها محمود ساري وابنه توفيق ، ثم صارت فيما بعد إلى ساحة مهجورة .

متنزّه الفاروق الصيفي – الذي انتعشت سمعته في أواسط الخمسينات ثم صار إلى هجره في بداية الستينات لينتهي إلى جعله موقفاً للسيارات . ويقع اليوم في مقدمته فرناً لعمل الخبز ، ومن هناك يؤدي منها الذهاب إلى حضيرة السادة .

مقهى صفو – في باب الجديد .

مقهى صالح القدوري – تقع في محلة الخاتونية ، وبالقرب من دور آل العاني .

مقهى المصبغة – تقع في شهر سوقي قرب دار المحامي زياد الجليلي ومجاورة لجامع عمر الأسود . ويمتلك هذا المقهى أولاد ننّي (حازم وغانم وسالم) وتعرض فيه (القبوج) من أرقى الأصناف . وقد وصلني أن أحد المغرمين بتربية القبوج من آل عبيد أغا اشترى (قبجاً حبيسيا) بمبلغ خمسين دينار سنة ١٩٦٨ ....!!

مقهى فرحان أبو الكاز – تقع في منطقة شهر سوقي وعلى الطرف الثاني – عبر الشارع – من مساكن الجليليين . كما أن فرحان أبو الكاز أنشأ كازينو صيفي تقع إلى الجانب ألايسر من الشارع الذاهب من جسر الملك فيصل الثاني (جسر الحرية) باتجاه نبى الله يونس . وكانت لها شهرة واسعة في الثمانينات ، ويرتادها زبائن مخصوصون دائميون .

مقهى الفجر العربي والتي تغير اسمها فيما بعد إلى مقهى ليالي الموصل – تقع على شارع نينوى فوق صيدلية شفيق الهس وقرب مفترق شارع نينوى مع شارع النجفي ، ثم صارت تحتها بقالة فواكه لصاحبها احمد شقيق محسن جعّية لاعب كرة القدم الموصلي الأشهر ، والذي اشتغل في آخر سني حياته في معمل النسيج مدرباً لفريقه .

مقهى الطليعة – في الصياغ لصاحبها عبد خروفة . وباب المقهى جانبي مجاور لبواري حديد الصياغ من طرف شارع النجفي .

مقهى ١٤ تموز – وتقع قبالة التقاء شارع غازي بشارع نينوى – طابق علوي ، وكانت المقهى وزبائنها محسوبين على الشيوعيين على نحو عام ، وعلى أهل اليسار على نحو خاص.

مقهى محمد فرج – وتقع قرب محلات النقليات الذاهبة إلى أربيل وكركوك في شارع العدالة قرب شارع الصابونجي .

مقهى ناجي – وتقع في بداية شارع العدالة من طرف باب الطوب ، ثم صارت إلى مجموعة محلات ستوري وجبوري إخوان لبيع البولبورينات ، وجوارها تقع محلات سليمان الحموشي وعبد الجبار حامد لبيع إطارات السيارات .

مقهى سوق الخيل – وتقع إلى الأعلى من منطقة باب الطوب من طرف بائعي الساعات القديمة وأهل الخردة فروشيات والمزادات وبيع الخناجر وبوكسات الحديد ، ويرتادها هواة الطيور وجامعي (المسبحات الكهرب) ، ومن أشهر من عمل في كار المسبحات المرحومين عدنان بن عمر أغا التوتونجي والمعلم محمد نوري ..

مقهى حمه باوه – وتقع قرب كراج آرتين الأرمني للنقل بالسيارات داخل الموصل والى مصايف الشمال .

كما توجد مقهى في المثلث المحصور في الشارع الصاعد من سوق الشعارين إلى إمام إبراهيم – دكة بركة ، وذاك الشارع القادم من المكاوي الذاهب إلى منطقة الميدان فيما كان يعرف بشارع عارف السماك .

مقهى فتحي – وتقع في بداية شارع النبي جرجيس – سوق الشعارين ، وروّاده جلهم من صنف البنائين والنقارين . وكان صاحب المقهى فتحي ، ذلك الرجل ضخم الجثة يرتدي دشداشة لا لون لها بل رائحتها خليط من سبعة انواع ، وعرقجين أبيض مقلماً باللون الأصفر يميل قليلاً إلى السواد . وتميل بشرة جلد فتحي بغزارة إلى اللونين القهوائي والأسود . وقد روى لي صديقي نبيل الخفاف (تقع دارهم) في مكان مقابل مقهى فتحي في مدخل الزقاق المؤدي إلى باب النبي جرجيس . قال صديقي ان بصمات ابهامي يدي فتحي قد أزالهما نهائيا (ادباغ الجاي) ، ثم هو يمسك العملة المعدنية (فئة العشرين فلساً) بين سبابته وابهامه (المخشوشنتسن) فيفرك العملة المعدنية ليصار إلى أن تزول عن العملة الكتابة المنقوشة عليها مع صورة الملك إزالة تامة ...!

توجد مقهى مقابل حمام بور سعيد في دكة بركة وعلى ناصية الزقاق العريض القادم من المكاوي والذاهب إلى الشهوان ، ويرتادها الجماسة والختيارية من أهل المنطقة

مقاهي متفرقة في رأس الجادة وباب سنجار وفي منطقة النبي شيت وفي دورة باب الجديد – شارع الصديق – المحطة .

مقهى أبو صيفي وشتوي وتقع قرب نادي الفتوة الرياضي ومزادات بيع الأثاث في منطقة باب الجديد ، ويرتاده ختيارية باب الجديدو محلة السجن ، وتقع إلى جواره مقهى روادها جميعاً من هواة سباق الخيل وتوزع فيها جريدة المضمار وتقع قرب محلات طرشي الرسول.

كازينو بور سعيد الصيفي – تقع بعد عبور جسر الجمهورية في الساحل الأيسر (من طرفه الأيمن) لصاحبها عبد خروفة .

كازينو الحمراء – وتقع على رأس الزاوية المحصورة بين شارع حلب من جهة وشارع العدالة ، وقبالة ملهى السفراء والمزين الأرمني كيغام ، وكان يرتادها المعلمون والمدرسون على نحو خاص .

كازينو سعد – وتقع على زاوية شارع فرعي ضيق مع شارع العدالة وقبالة مقهى يحيى. وكان روادها من الشباب لاعبي الأزنيف وطلاب الجامعة ، وصاحبها هاوي الخيل ومربيها المعروف طه شويت بقال البجاري ، وهو شقيق بائع التحفيات ياسين شيت تحافي الواقع محله على شارع العدالة وبالقرب من خياطة محمود ثابت .

كازينو السويس – وتقع على شارع العدالة قرب بوفيه السويس لصاحبه الأرمني أكوب والد الدكتورة سيروهي ، وكان مشهوراً بعمل الباسطرمة القيصري .

كازينو النهرين – وتقع على شارع العدالة جوار مطعم النهرين لصاحبه يونس الشاهين البجاري (أبو تحسين) . وقد اكتسبت شهرة كبيرة طوال عقد الستينات وبعضاً من عقد السبعينات .

كازينو أطلس – وقد اكتسبت شهرتها في عقد السبعينات . وقد تحسب – إلى حد ما – تعويضاً عن كازينو النهرين في لم شمل المبدعين . وكان يرتادها الكتّاب والأدباء والشعراء وكل المعنيين بالثقافة من جيل الستينات . وكانت هناك حارة خاصة تجمع الشاعر الراحل ذو النون شهاب أشهر لاعب أزنيف في العالم والراحل عمر الطالب وآخرين من مثل طلال حسن وعبد الباري عبد الرزاق النجم وسعد الدين خضر وأنور عبد العزيز ويوسف البارودي. وقد شهجت كازينو أطلس في أواسط السبعينات مناظرات صاخبة وجدالات عميقة في شتى انواع المعرفية الأدبية والسياسية والفنية . وكان يعد الدكتور عمر الطالب بحق ، المحور الأساس في اجتماعات الشلل في هذه الكازينو ، فضلاً عن التجمعات الأخرى التي كان يعقدها في دارته ويستضيف فيها كل من يود الحضور في تلكم الندوات .

× × ×

وإذ تسارعت عقود السنين ركضاً أو خبباً وآخرها عقد السبعينات ، دخل العراق على نحو عام والموصل على نحو خاص في بودقة جديدة من الحالة – ليست كسابقاتها – ليصير الأمر إلى تقلص أعداد المقاهي ، مثلها (مثل اشياء أخرى لها علاقة بالحرية وبالهواء الطلق) وانكفاء الأصحاب من أهل الكار عن مواصلة أعباء المهنة ... بل تفرق الجمع من طلبة ومعلمين وأصحاب مهن وختيارية بين أزقة أضلاعهم ، يمضغون آلامهم ، ويتأوهون على ازمنة كانت فيها تخوت الخشب المتهرئة خير نديم صامت لهم ، يبثونها شكاواهم ، ويأتمنونها على بصاقات ملونة يمسحون بها شواربهم ذهاباً إلى أسفل مشاياتهم وأنعلتهم ... ويحمدون الله على نعمائه وحسن المنال ... وما آل إليه الحال .... وأن العافية درجات ...!

.... وإذ صرنا إلى عقد الثمانينات صارت المقاهي إلى انقراض ، وكنّا جميعاً نقرأ ما خطّ على آلاف اللافتات السود ، المعلقة على آلاف الجدران المتآكلة ... (انتقلت إلى الحياة الأخرى مقاهي الموصل ... لأجل أن تدوم راحة عيون الزبائن وأرجلهم وظهورهم ... عسى الله ان يجعل من دورهم أفضل الأمكنة للتعرف على الأسرة عن قرب ... ومجالسة الأطفال السعداء مجالسة حداثوية ... ومصاحبة الزوجات صحبة الخلّ للخليل ...!)

قصة ساعة الاعظمية

صادق الجميلي
مؤرخ وكاتب

تبدأ قصة الساعة الاعظمية في عام (١٣٣٧ هـ - ١٩١٩م) يوم اهديت الساعة الكبيرة ذات الوجهين والتي كانت منصوبة في الحضرة الكيلانية الى جامع الامام الاعظم لتصليحها ونصبها فيه غير ان هذه الساعة كانت قديمة وصغيرة وقد تلف الكثير من اجزائها نتيجة العمل الطويل واثناء عملية رفعها، وقد طلب ناظر الاوقاف في حينه الى سلطات الاحتلال البريطاني ارسال خبير لتصليحها، كما كتب الى الدوائر المختصة للقيام بذلك، غير ان النتيجة كانت سلبية مما اصطر دائرة الاوقاف الى الاعلان في جريدة العراق الصادرة في (١٧ شباط ١٩٢١) عن طلب بعض المتعهدين من ذوي الاختصاص في تصليح تلك الساعة لمراجعتها. وكان ذلك الاعلان بتوقيع مدير الاوقاف في حينه الحاج حمدي الاعظمي (العالم الفقيه والاستاذ في تدريس الشريعة الاسلامية في كليات بغداد ومؤسس المكتبة المعروفة باسمه والكائنة في محلة السفينة في الاعظمية).

وفي (٩ اذار ١٩٢١) تقدم اليها الحاج عبد الرزاق محسوب الاعظمي متعهدا تصليحها. فلما فحصها وجدها غير صالحة فراودته فكرة القيام بصنع ساعة مثلها. فتعهد بانشاء ساعة جديدة بعد ان ذكر ان الساعة القديمة لايمكن اصلاحها.. وقد وافقت مديرية الاوقاف على الطلب بتاريخ (١٠ اذار ١٩٢١) وكتبت له بتاريخ ٢٤ منه بموافقتها على قيامه بصنع ساعة جديدة بدلا من تلك الساعة التالفة.. وفي ٢٥ منه بدأ المشروع ينفذ في معمل محسوب في الاعظمية الكائن قرب جامع الملا خطاب وكانت فكرة رائعة تحكمت في احاسيسه ومشاعره حتى اقضت مضجعه في الليل واستنزفت الكثير من وقته في النهار، فراح يرسم خطوطها الرئيسية منذ تلك اللحظة ودب نشاط غير اعتيادي في معمل السيد محسوب الذي راح يوزع الاعمال بين عماله باهتمام بالغ وجدية ملحوظة وفي ذهنه تصميم لصنع اكبر ساعة في بغداد مع هيكلها الخارجي ذي الاربعة ووجه بدلا من تلك الساعة ذات الوجهين .

وهكذا واصل السيد محسوب عملها المضني في صنع هذه الساعة بهمة لا تعرف الكلل والملل وبمساعدة ولديه السيدين محمد رشيد وعبد الهادي حتى بذل كل جهد يستطيعه وانفق كثيرا من المال فاتم صنعها بتاريخ ٢٨ / ١٢/ ١٩٢٩ م. / ١٣٥٠ هـ) وبعد الانتهاء من صنعها وتنظيمها واجراء بعض الفحوصات والتجارب عليها امام جمهرة من اهل الخبرة وشاهدي العيان طلب من ادارة الاوقاف تسلمها هبة منه وبدون عوض لتقوم بنصبها في جامع الامام الاعظم متبرعا بها لوجه الله تعالى وطلب الى الاوقاف القيام ببناء البرج المناسب لها وارفق طلبه بمخطط البرج.. الا ان العقليات القاصرة وغير المدركة التي كانت تسيطر على شؤون الاوقاف يومذاك تشككت في صنعها فاخذت تماطل في ذلك واخيرا رفضت تسلمها فاحتفظ بها واقام لها برجا حديديا في جانب من معمله الكائن في الاعظمية وقد تجاوزت افاقه باصداء دقات تلك الساعة وهي تعلن عن الوقت في مدينة بغداد بانتظام وتبارك جهود السيد عبد الرزاق محسوب وعمله المبدع في خدمة بلده.. ومما هو جدير بالذكر ان جميع اجزاء هذه الساعة وآلاتها لحد (البراغي) كانت عراقية الصنع مئة في المئة بحيث لم يستورد لصنعها اي جزء اجنبي.. اذ قامت بصنعها وهندستها الايدي الفنية والمبدعية العراقية في معمل محسوب وباشرافه.

ولما اقيم المعرض الزراعي الصناعي في حدائق باب المعظم في بغداد والذي افتتح في (٧ نيسان ١٩٣٢) في عهد الملك فيصل الاول. نقلت اجزاء هذه الساعة الى حدائق المعرض لتنتصب على ارضها، فكانت هذه الساعة الشامخة، والتي فازت بحق وجدارة بالجائزة الاولى - من ابرز المعروضات واجدرها باهتمام الجمهور. بل كانت حديث بغداد في هذه المناسبة... واخيرا وبعد هذا الفوز الساحق على غيرها من المعروضات لم توافق الاوقاف على تسلمها بل بقيت تعمل بانتظام في حديقة المعرض حتى اواخر شباط من سنة ١٩٣٣ حيث طلبت السلطات المختصة من صاحبها رفعها من مكانها والاحتفاظ بها وتسلمها لا لتوضع في مكانها المناسب من جامع الامام الاعظم وانما لتوضع رهن التوقيف والحجز في احدى غرف معمله القديم.. وهناك وضعت الاتها بعد تفككها في صناديق انتظارا لنصبها في الجامع المذكور وقد استمرت دائرة الاوقاف طيلة العهد الملكي تماطل في بناء البرج متعللة باعذار شتى بالرغم من الحاح صاحبها وصانعها الذي توفاه الله في (١٩٥٣/١١/٧) وفي نفسه حسرة لانه لم يشاهد ساعته فوق برجها الذي صممه وفقا لذلك.. فداهمها الصدأ وكادت تتلف لولا ان تداركها قرار مجلس الوزراء الصادر بعد ثورة تموز عام ١٩٥٨ والقاضي بالافراج عنها ونصبها على برج يناسبها لتحمل ثمانية اطنان من الحديد هو مجمل وزنها.. وانتصبت الساعة على برج - مع الاسف - لاصلة له بالتراث والذوق البغدادي. وكان نصبها قد تم بجهود نجله الدكتور صالح بعد ان ادخل عليها بعض التحسينات بما يلائم عملها الدائم بالقوة الكهربائية واخذت تعمل منذ اوائل الستينات ولحد الان دون توقف او عطل فبوركت جهود آل محسوب في احياء ساعة الاعظمية بعد موت محقق.

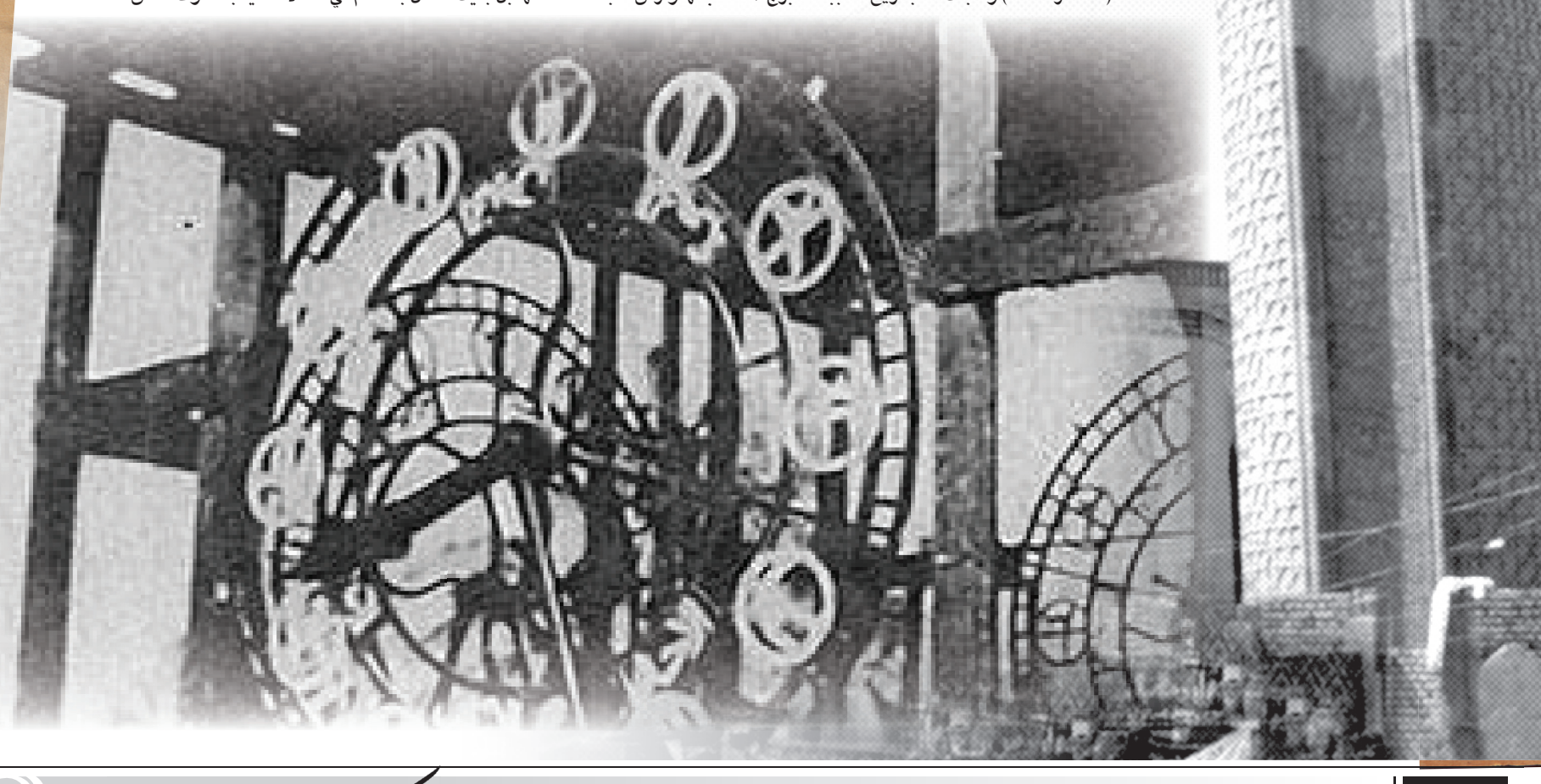

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
نائب رئيس التحرير: عدنان حسين
مدير التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي . رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل
طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون